

من أبرز المقالات:

- التمييز بين القيام والفتنة
- إنّ الله تعالى قرن طاعته بطاعة آل محمد عليهم السلام
- الأُصول العامة للفهم الرمزي في روايات الظهور



الإشراف العام
الشيخ رائد الحيدري

رئيس التحرير
د. لواء عبد الحسن عطية

مدير التحرير
الشيخ محمد فاضل الزبيدي

سكرتير التحرير
محمد رزاق صالح

هيأة التحرير
الشيخ حمزة عبد الواحد اللامي
الشيخ حسين علي السعداوي
السيد صفوان ضياء قاسم
الأستاذ مهدي أحمد السعدي
د.أسعد شهيد الحسناوي
د. مقدام محمد البياتي
م.م. خالد عبد النبي الأسدي
م.م. فضاء ذياب غليّم
م.م. عماد طالب موسى
حيدر رحيم اسماعيل الشويلي

التدقيق اللغوي
ضياء قاسم عبد العالي

التصميم والإخراج الفني
عبد الصاحب رضا صادق
MK Design

التصوير الفوتوغرافي
مهدي رزاق صالح

الموقع الألكتروني
السيد حسين عدنان رضيوي

الهـــاتف: 009647435000242
موقع العتبة: www.imamhussain.org
موقع القسم: www.imamhussain-lib.org
بريد القسم: info@imamhussain-lib.org

الترقيم الدولي: 2518 - 5624
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (1211) لسنة 2009م







بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين...
وبعدُ...
فالإمامة لها موقعية كبيرة في منظومة المعارف الدينيّة، والفكريّة بكونها تمثّل أصلًا من أصول الدين القويم، وعليها شُهرت السيوف؛ فقال الشهرستانيّ في الملل والنحل (ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينيّة مثل ما سلّ على الإمامة): ١/٢٤.
فمن يوم الدار إلى يوم الجمل وصفين والنهروان؛ ثمّ من فاجعة كربلاء إلى يوم الحرّة إلى انتهاك حرمة البلد الحرام، والمسجد الحرام وإلى آخر ما تعرّض له التاريخ في طوله وعرضه، ولعلّ ما خفي على النّاس أكثر؛ إذ أنّ التاريخ كتبته السّياسة، وليس بوسع أحدٍ أن يطمئن إلى كثير ممّا نقل فيه.
وليستْ لتلك البداية نهاية إلّا أن يشاء اللهُ تعالى؛ فما زِلنا نقاسي آلامَ تلك الفتن والمحن، ونتجرّع مرارتها.
ولربّ سائل يسأل: لم لا يسدّ هذا الباب، ما دامتِ الإمامةُ أمرًا متعذّرًا على الأمّة؟
ولكن هذا الأمر يوقعنا في محذورينِ:

الأوّل: فسح المجال للطغاة والمستبدين ليتحكموا في رقاب الناس، وأعراضهم وأموالهم ، ويحكموا فيهم بغير ما أنزل الله سبحانه.

الثاني: لزوم أمر الإمامة؛ إذ ليس للمسلم مندوحةٌ عنها؛ لأنّ أمر الإمامة لازم لا يكمل الدين، ولا يتم الإيمان إلا به، ولا يقوم الإسلام إلا عليه، لتعلّق أمور الدنيا والآخرة بها؛ فالقرآن الكريم ينادي: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ ، والنبي صلى الله عليه وآله يقول: (مَنْ مَاتَ وَ لَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً).والسلام.






قيام الإمام الحسين عليه السلام يـفـضـح الـتـزيـيـف الأمـــوي

*الشيخ حسين الخشن

استطاع قيام الإمام الحسين عليه السلام بما أفرزته النهضة من مواقف وجسّدته من تضحيات وأوضحته من حقائق ومعالم، أنْ يفضح العلاقة المزيّفة بالحق أو بالمثل الأعلى، هذه العلاقة التي تتجمّد عند حدود العقل والقلب دون النزول إلى أرض الواقع وتحمّل المسؤولية وتقديم التضحيات.

إنَّ نداء القيام الحسيني ولسان حاله ومقاله: إنّ الحب إنْ لم يترجم سلوكاً وحركة فهو خداع ونفاق، وإنّ المعرفة إنْ لم يصدّقها العمل فهي معرفة مزيّفة وستكون حسرةً على صاحبها ووبالاً.

الجهل واستعباد الأُمَّة

إذا كان الخلل في العلاقة مع أهل البيت عليهم السلام كامناً لدى فئة كبيرة من أبناء الأُمّة في الركيزة المعرفية، ولـدى فئة أُخـرى في ضعف

الإرادة والعزيمة.

فإنّ السؤال الذي يفرض نفسه هنا: كيف تمّت عملية تجهيل الفئة الأُولى؟ وكيف تمّت مصادرة إرادة الفئة الأُخرى؟

نقول: بداية لا بُـدَّ من القول إنّ وعـي الأُمَّـة وإرادتها يشكلان الأرضية الصلبة لمناعتها وحيوية مبادئها وفاعليتها.

كما أنّهما (الوعي والإرادة) يعتبران خطّ الدفاع الأوّل عن الأُمّة وقيمها، وهما الصخرة التي تتكسّر عليها كلُّ أحـلام الطامعين وأماني الطامحين وخطط المستكبرين.

وقد أدرك الطغاة أنّـه لن يُكتب لهم النجاح باحتواء الأُمّة والسيطرة عليها إلّا بالعمل الدؤوب على مصادرة وعيها، وشلِّ إرادتها؛ ولذا اعتمدوا مختلف الأساليب في سبيل الوصول إلى غايتهم المنشودة، ونبدأ بالحديث عن مساعي بعض رموز الدولة الأُمويّة الرامية إلى مصادرة وعي الأُمّة.

سياسة التجهّيل

في سبيل التغلّب على وعي الأُمّـة، كان لا بُدَّ من اتباع سياسة تجهيلية تضليلية تعتمد منهج التلوّث الفكري والتشويش الإعلامي، وكان أنجح الأساليب وأكثرها تأثيراً في هذا الصدد اعتماد الأدوات والطرق نفسها التي تملك القداسة في نفوس المسلمين.

يعني النصوص الدينية التي تـمّ اختلاقها ونسبتها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله من قبل جمعٍ من ذوي الذمم الرخيصة ممَّن باع دينه بدنياه بثمن بخس، وسخّر علمه أو صحبته لرسول الله صلَّى الله عليه وآلـه لبث الدعاية الكاذبة في خدمة السلطان الجائر وأهدافه.

عن الشيخ أبي جعفر الإسكافي أنَّ معاوية لعنه الله (وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه - نستجير بالله - وجعل على ذلك جعلاً (عوضاً مالياً) يُرغب في مثله فاختلقوا ما أرضـاه). (شرح نهج البلاغة للمعتزلي:٤/٦٣٩).

وكتب معاوية لعنه الله أيضاً إلى عُمّاله وولاته كتاباً يحثّهم على الرواية والتحديث بفضائل عثمان، وإكرام كلِّ من يروي حديثاً في مناقبه، ولما أكثروا من ذلك كتب إليهم كتاباً آخر كما ورد في كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: (إنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلِّ مصر وفي كلِّ ناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له من الصحابة فإنّ هذا أحبُّ إليّ وأقرُّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدُّ عليهم من مناقب عثمان وفضله). (شرح نهج البلاغة:١١/٤٤).

وقال المعتزلي أيضاً: (فقُرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها...). (شرح نهج البلاغة:١١/٤٥).

إنّ هذه السياسة التجهيلية التي ترافقت مع سدٍّ شبه تامٍ للمنابع الأصيلة للثقافة الإسلامية أثّرت بشكل كبير في الأُمّة، ولا سيّما أهل الشام منهم، فأصبحوا وقد تشوّهت معرفتهم بالإسلام ورموزه إنْ لم نقل أصبحوا لا يعرفون من الإسلام إلّا اسمه، ومن الدين إلّا رسمه، وإنَّ القصة التالية التي ينقلها المسعودي، تشهد بوضوح على نجاح السياسة التجهيلية في بلاد الشام، هذه السياسة التي كان لوعاظ السّلاطين والمتزلفين دور في إنجاحها.

يقول المسعودي: (إنّ رجـلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي أُخـذت مني بصفين، فارتفع أمرهما إلى معاوية [لعنه الله]، وأقـام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنّها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي، وأَمَرَهُ بتسليم البعير إليه، فقال الكوفي: أصلحك الله! إنّه جمل وليس بناقة، فقال معاوية: هذا حكم قد مضى، ودسّ إلى الكوفي بعد تفرّقهم فأحضره، وسأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه، وبرّه، وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً إنّي أُقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل). (مروج الذهب:٣/٣٩).



الاستخفاف بالعقول

إنّ واحدة من أخطر نتائج سياسة التجهيل والتضليل التي ينتجها الطغاة هي تهيئة الأُمّة لقبول الاستعباد، وتحويلها إلى أداة طيعة بيد الحاكم، تُنفِّذ مخططاته ومشاريعه دون أنْ يكون لها حضور أو مساهمة في صنع الحاضر أو المستقبل؛ لأنّ الحاكم قد صادر وعيها وعقولها، واختصرها بشخصه وأصبح يفكّر للناس وعنهم، وغدا الفرد منهم مجرد إمّعة يخوض مع الخائضين، وقد ورد في الحديث الشريف عن الإمام الكاظم عليه السلام: «أَبْلِغْ خَيْراً، وَقُلْ خَيْراً، وَلاَ تَكُنِ إِمَّعَةً»، قيل: وما الإمّعة؟ قال: «لاَ تَقُلْ أَنَا مَعَ النَّاسِ، وَأَنَا كَوَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانٌ؛ نَجْدُ خَيرٌ وَنَجْدُ شَرٌّ، فَلاَ يُكُنْ نَجْدُ الشَّرِّ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ». (أمالي المفيد:٢١٠. تحف العقول:٤١٣. بحار الأنوار:٧٥/٣٢٥).

إنّ سياسة التجهيل المذكورة هي سياسة الطغاة على مرّ العصور، فقد اتّبعها فرعون مع بني إسرائيل، فجعلهم عبداً له، وكان يفاخر بذلك ويجاهر به، ولذا خاطبه موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام بلغة احتجاجية إنكارية ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. [الشعراء/٢٢]

إنّ فرعون لم يصل إلى هذا المستوى من التكبّر إلّا بعد أن استخف بعقول الناس، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.[الزخرف/٥٤]

وجاء سلبهم حرية التفكير بعد ذلك نتيجةً طبيعية للاستخفاف بعقولهم.

قال تعالى حكاية عن لسان فرعون: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾. [غافر/٢٩]

وبعد ذلك لم يعدّ مستغرباً ولا مستبعداً منه أنْ يتجرّأ على ادّعاء الربوبية، قال تعالى عن لسان فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾.[النازعات/٢٤]

دون أنْ يسمع صوت اعتراض أو احتجاج!

وهكذا نجد أنَّ طواغيت قريش انتهجوا أسلوب فرعون في التضليل والتجهيل في مواجهتهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله.

وفي هذا السياق تنوّعت اتّهاماتهم لشخصه المبارك، فتارة رموه بأنّه كاهن، وأُخرى بأنّه ساحر، وثالثة بأنّه شاعر، ورابعة بأنّه مجنون وغير ذلك من الاتهامات.

وقد أثّرت أساليبهم الدعائية هذه في نفوس الكثيرين من الناس مدّة من الزمن، حتى أنّهم أقنعوا أحد الشخصيات المرموقة والمعروفة في قومه أنْ يسدَّ أُذنيه بالقطن عندما يمرّ إلى جانب رسول الله صلّى الله عليه وآله حذراً من أنْ يتأثّر بسحره.

عن عليّ بن إبراهيم أنّه قال: (قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس إلى مكة في عمرة رجب، وكان أسعد صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنَّه رسول الله، سفه أحلامنا، وسبّ آلهتنا. فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً. وكان أسعد وذكوان، وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود أنَّ هذا أوان خروج نبيٍّ يخرج بمكة، يكون مهاجره بالمدينة. فلمّا سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود قال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجرة، ولا يخرجون من شعبهم إلّا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنَّه ساحر، وضع في أُذنيك القطن حتى لا تسمع كلامه، فدخل المسجد وقد حشا أُذنيه بالقطن، فطاف بالبيت، ورسول الله صلّى الله عليه وآله جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أحد أجهل منّي. أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟! فأخذ القطن من أُذنيه ورمى به، وقال لرسول الله: أنعم صباحاً. فرفع رسول الله رأسه إليه وقال: «قَدْ أَبْدَلَنَا اللهُ بِهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ». فقال له أسعد: إلى ما تدعو يا محمد؟ قال: «إِلى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَأَدْعُوَكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئاً، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ...». فلمّا سمع أسعد هذا قال: أشهد أنْ لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله. وتكلم بكلمات تدلُّ على رسوخ الإيمان في قلبه...). (مستدرك علم الرجال للشيخ علي النمازي:١/٥٩٨).

إنّ الدعوة إلى وضع القطن في الأُذنين هي عمل غبي لا يأخذ به إلّا مَن فقد عقله، أو وقع تحت تأثير سياسة طاغوتي تهدف إلى تضليل الأُمّة ومصادرة وعيها.

وإنَّ وضع الأُمّـة بعد تحوّل الخلافة إلى ملك عضوض يتوارثها الأبناء عن الآباء لم يكن أفضل حـالاً ممّا تحكي عنه الصورة المتقدّمة، بل إنَّ وضعها كاد أنْ يتجاوز هذه الصورة سـوءاً لولا وقوف أهل البيت عليهم السلام سداً منيعاً بوجه كلِّ سياسات التضليل والتجهيل.

هدم الدين بالدين

إنّ الوضع من بعض جوانبه تردّى وانحدر في تاريخنا الإسلامي إلـى أسـوأ ممّا كـان عليه في العصر الفرعوني أو الجاهلي.

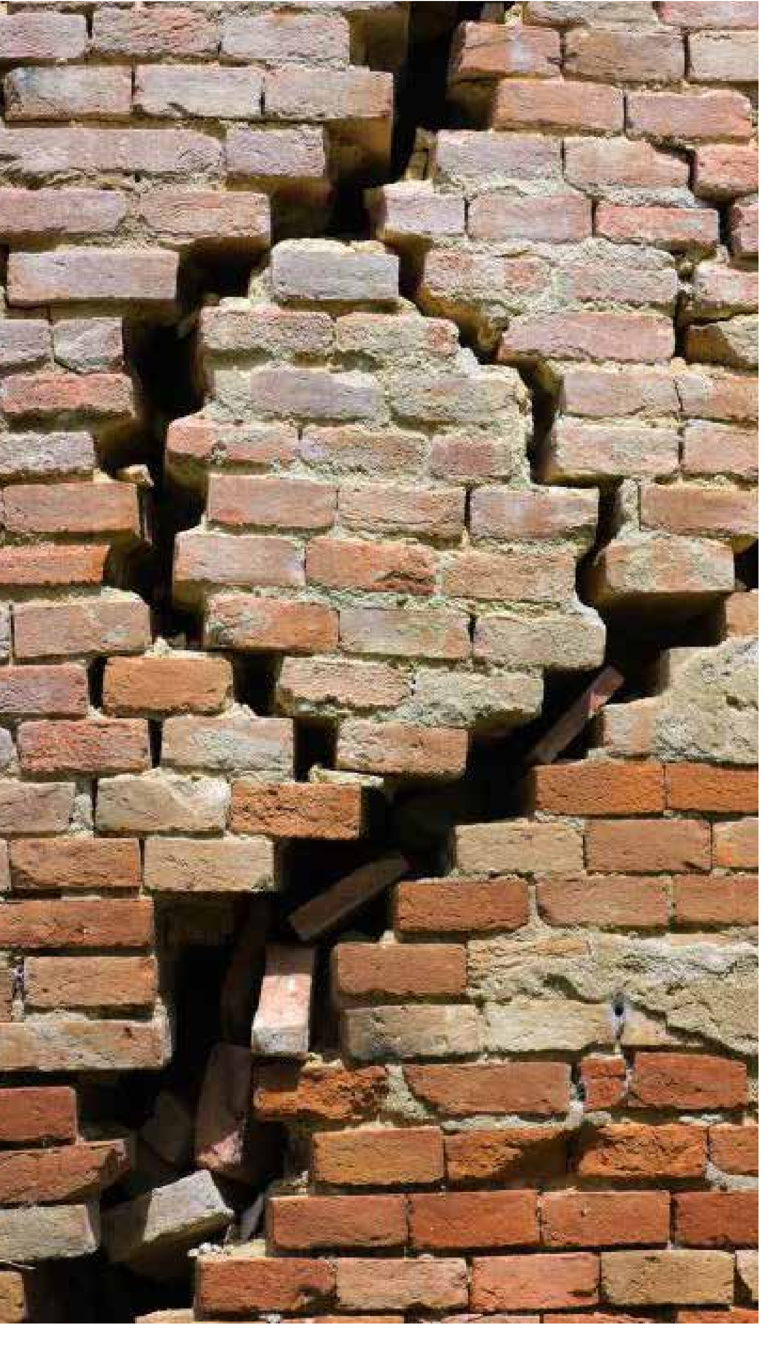
وذلك أنّ مصادرة عقول بني إسرائيل من قبل فرعون كانت عملية مفضوحة ولا تملك حجة برهانية ولا تقبلها الفطرة والوجدان.

وهذا ما سهّل على النبيّ موسى على نبيّنا وآله وعليه السلام وساعدة في إقناع بني إسرائيل بضرورة التحرّر من نيّر الطاغية وقيوده.

بيد أنّ الأمر في العهد الإسلامي كان مختلفاً، فمصادرة العقول والإرادات كانت تتم باسم الدين وكمّ الأفواه يغلّف بشعارات شرعيّة إسلامية، ويتمّ التنظير للعبودية والخنوع والاستسلام للحاكم بأحاديث ملفقة عن لسان رسول الله صلَّى الله عليه وآله، من أنّه يدعو إلى إطاعة السلطان ولو كان جائراً، أو نحو ذلك.

إنّ قمّة المكر والدهاء أنْ يتم مواجهة الدين باسم الدين، أو استغلال الوحي ضدّ مقاصد الوحي نفسه، وبهذا يُنحر الإسلام بسيوف صَنَعَها وصنع حامليها.

وهذا ما حصل مع سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء، وقد وصف لنا عليه السلام هذا الأمر خير



توصيف في بعض خطبه الشريفة التي خاطب فيها الجيش الأُموي قائلاً: «سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ وَحَشَشْتُمْ (أَوْقَدْتُمْ) عَلَيْنَا نَاراً اقْتَدَحْنَاهَا (أَوْقَدْنَاهَا) عَلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ أَلْباً لأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشُوهُ فِيكُمْ وَلاَ أَمَلَ لَكُمْ أَصْبَحَ فِيهِمْ». (اللهوف:٩٦).

إنّه عليه السلام في خطبته الشريفة يشير إلى مفارقة عجيبة وحقيقة مـرّة، وهي أنّ النفوس



التي صنعها وهذّبها رسول الله صلَّى الله عليه وآله لتكون حاملة لمبادئ الدين وحارسة أمينة لبلاد المسلمين ومطيعة لأمر آل محمد عليهم السلام، تحوّلت بعد مدّة قصيرة في عمر الرسالة إلى قوّة للقضاء على الإسلام وإلى سيوف مسلولة بوجه قادة المسلمين وخلفاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله من ذريته، وما كان ذلك ليحصل لولا سياسة التجهيل التي صادرت عقل المسلم وجعلته مستعداً لتقبل كلِّ ما يلقى إليه من أفكار ذات صبغة دينية وأحاديث تنسب إلى الرسول الكريم، حتى لو كانت مخالفة للعقل والمنطق، وهذا ما تؤكّده الشواهد التاريخية الكثيرة على مرّ العصور.

دور وعاظ السلاطين في تضليل الأُمّة

استطاعت السلطة السياسية على الدوام تسخير بعض الوعاظ وتجار الدين وتوظيفهم لخدمة أهدافها التسلطية أو تبرير مواقفها التخاذلية، وقد أسهم هؤلاء في تخدير الأُمّة وتضليلها وتعطيل إرادتها.

وربّما يكون خطرهم على الدين أشدَّ ضرراً من خطر الحكام المستبدين أنفسهم، بسبب دورهم الخطير في إسباغ الشرعية على نظام الاستبداد والقهر وتبرير سياسات الظالمين ونزواتهم الخاصة، وذلك بانتحال النصوص أو انتقاء بعضها أو تأويلها وتفسيرها بما يخدم سياسة الحاكم،

ونماذج هذه الشريحة في تاريخنا الإسلامي وواقعنا الراهن كثيرة جدّاً لا يسع المجال للحديث عنهم.

نقل عن أحد المحدثين في العصر العباسي وهو غياث بن إبراهيم (دخل ذات يوم على المهدي العباسي وهو يلهو بالرهان على الحمام، فأراد التقرّب إليه فحدّثه بقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: «لاَ سِبْقَ إِلَّا فِي خِفٍّ أَوْ حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ»، وزاد فيه أو (جناح) في إشارة إلى الحمام، عنده قال المهدي العباسي: (أشهد أنَّ قفاك قفا كذاب على رسول الله)، وأضاف: (ما قال رسول الله (أو جناح) ولكنَّه أراد أن يتقرب إليّ). (تاريخ بغداد:٢/٣٢٠).

الأدوار المشبوهة لبعض الشخصيات

عند دراسة المشهد الإسلامي العام قبيل القيام الحسيني وموقف العديد من الصحابة والتابعين نجد أنّ بعضهم لم يكتفِ بالحياد أو التقاعس عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، بل شجّع من حيث يشعر أو لا يشعر السلطة الأُمويّة على جرأتها على الله ورسوله وإقدامها على انتهاك الحرمات، وعندما نقرأ رسائل الإشفاق والنصح التي وجهت من قبل الكثيرين للإمام الحسين عليه السلام نلمس هذا الأمر بوضوح، ونكتشف في ثناياها موقفاً مشبوهاً لا يمكن تبريره، كما حصل مع عمرو بن سعيد بن العاص الذي أرسل إلى الإمام رسالة يدعوه فيها إلى ترك الشخوص إلى العراق وأن لا يشقّ عصا الطاعة.

وإذا كان موقف عمرو بن سعيد هذا يمكن فهمه باعتبار أنّ الرجل كان نائب الحرمين كما يذكر ابن كثير. (البداية والنهاية: ١٧٦/٨).

فإنّ مواقف البعض الآخر لا يمكن فهمها ولا تبريرها، ومن هؤلاء شريح القاضي الذي لا يفاجئنا بوجوده دونما سبب مفهوم في قصر الإمارة قرب ابن زياد، وكذا لا يفاجئنا بتركه نصرة الإمام الحسين عليه السلام، إنّه لا يفاجئنا بذلك فحسب، بل يفاجئنا أيضاً بسكوته وهو القاضي في الكوفة على الظلم والمنكر الذي ارتكبه ابن زياد على مسمع ومرأى منه بحق هانئ بن عروة رضوان الله تعالى عليه، عندما ضربه بالقضيب على وجهه وكسر أنفه ونثر لحم خديه على لحيته، ثمَّ حبسه في إحدى غرف القصر، وبعد ذلك يخرج شريح لينقل رسالة من ابن زياد إلى قبيلة هانئ التي امتعضت واجتمعت حول القصر يطمئنهم فيها بأنّ صاحبهم حيٌّ ولم يُقتل، الأمر الذي حال دون هجومهم على القصر وربّما تغييرهم لمسار الأحداث. (تاريخ الطبري:٤/٢٥٤).

القيام الحسيني يفضح التزييف

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام بمأساتها وآلامها استطاعت اختراق حجب الجهل والتضليل وتبديل سحب الظلمة والتشويه التي مورست بحق أهل البيت عليهم السلام، وإنَّ رحلة السبي من الكوفة إلى الشام رغم مرارتها ومعاناتها وكثرة شجونها أسهمت في فضح يزيد لعنه الله وبيان زيفه، كما أسهمت في التعريف بحقائق الإسلام ومكانة أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم.

لأنّ هذه الرحلة القسرية هيّأت فرصة ذهبية للإمام زين العابدين السجاد عليه السلام والعقيلة زينب الكبرى عليها السلام وسائر السبايا أنْ يقفوا في جموع المسلمين المضلَّلين المحتشدين في كلِّ محطات هذه الرحلة الشاقة والطويلة ويشرحوا لهم حقيقة الموقف بكلمات وخطبٍ ملتهبة وبليغة، سرعان ما ظهر صداها وبان أثرها في نفوس المسلمين الذين كان للكثيرين منهم مواقف، رسالة شجاعة سجلها التاريخ بإدانة يزيد وعبيد الله بن زياد لعنهما الله ومواجهتهما حتى داخل قصر ابن زياد لعنه الله في الكوفة وقصر يزيد لعنه الله في الشام.

وقد ندمت السلطة الأُموية على إحضار السبايا وسوقهم من الكوفة إلى الشام، بعدما رأى ردَّة فعل أهل الشام الذين استمعوا للإمام زين العابدين عليه السلام فيما وضّحه من منزلةِ وفضلِ أهل البيت عليهم السلام على المسلمين، وما جرى عليهم من ظلم وعدوان واضطهاد وقتل وسبي.



الحسين عليه السلام لجميع الأمم والطوائف

*عبد العزيز حسن

يستقبلنا الإمام الحسين عليه السلام في كلِّ عام بأيادٍ كريمة، فهل سنمدّ أيادينا لمصافحة سيد شباب أهل الجنة؟!

أم أنّنا بايعنا من لوثت أيادينا مبايعته!!

الإمام الحسين عليه السّلام لكلّ مسلم فلماذا يستأثر الشيعة به؟!

الإمام الحسين عليه السّلام لكلِّ العالم فهل سيمدّ العالم قلبه قبل سنارته ليصطاد منه فوائده الجمة التي يختزنها بحره الكبير؟!

الإمـام الحسين عليه السلام ليس عاشوراء فقط، فعاشوراء رشفة من محيطه الزاخر، فهل تذوقنا حلاوة شهده.

لماذا نطمع في التهام الحشرات ولا يغرينا الثمر النضيد؟!

ها هو الإمام الحسين عليه السلام يرحب بكلّ عاشق للمعرفة.

ها هو الإمام الحسين عليه السلام يفتح بوابة سفينته الضخمة ليسع الجميع على مختلف الطبقات، هل سيحجرنا من الاقتراب إليه قطاع طريق؟!

الإمام الحسين عليه السلام قريب منّا فهل سنمدّ الذراعين واليدين إليه أم أنَّ الشلل الفكري يمتد للشرايين فلا حياة لمن تنادي؟

الإمام الحسين عليه السلام للأسود قبل الأبيض.

و(جون) الغلام الزنجي يصافح خدُّه خدَّ ابن الرسالة ليفخر: (مَن مثلي وابن رسول الله واضع خده على خدي).

الإمام الحسين عليه السلام للصغار قبل الكبار.

لهذا يرتجز الطفل مقاتلاً بين يديه قائلاً:



حسين أميري ونعم الأمير
سرور فؤاد البشير النذير
علـيٌّ وفاطمة والداه
فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى
له غـرّة مثل بدر منير

الإمام الحسين عليه السلام للنساء قبل الرجال.

لهذا تستل العجوز عمود خيمتها لتقاتل الأعداء خارجة من خيمتها وهي تقول:

أنا عجوز سيدي ضعيفة
خاوية باليـة نحيفة
أضربكم بضربة عنيفة
دون بني فاطمة الشريفة

الإمام الحسين عليه السلام لغير المسلمين قبل أنْ يكون للمسلمين.

وقد سار المسيحي (وهب الكلبي) هذا النصراني لمعانقة الشهادة بين يدي ابن الرسول صلَّى الله عليه وآله، الذي قالت له أُمُّه: (فداك أبي وأُمِّي، قاتل دون الطيبين حرم رسول الله).

ألم يصدح (بولس سلامة) المسيحي بحبّ أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: (جلجل الحق في المسيحي حتى عدَّ من فرط حبه علويا).

فمتى سنتعلم أنَّ خيمة الإمام الحسين عليه السلام ليست ضيّقة الأُفق؟!

الإمام الحسين عليه السلام ابن الرسالة والوحي وزعيم الإسلام الخالد، كان محيطاً هادراً من الخُلق الكريم، فهو الذي يسقي العدو المحارب بيديه الحانيتين كما فعل مع (عليّ بن طعان المحاربي) ويلطف بالخصوم عند الحوار كما حاور جيش (ابن سعد لعنه الله)، ويغفر للمخطئ المذنب كما صفح عن (الحر الرياحي رضوان الله عليه) وقَبِلَ توبته.

كذلك قصّة مبعوث ملك الروم إلى يزيد لعنه الله والمعروفة في الكتب التاريخية، حيث كان يزيد يتخذ مجالس الشراب ويأتي برأس الإمام الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه، ويشرب عليه، فحضر في مجلسه ذات يوم الرسول النصراني لملك الروم، وكان من أشراف الروم وعظمائهم، فقال: يا ملك العرب هذا رأس من؟ فقال له يزيد: مَا لَكَ ولهذا الرأس؟ فقال: إنّي

إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلِّ شيء رأيتُه، فأحبَبتُ أنْ أُخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه، حتى يشاركك في الفرح والسرور. فقال له يزيد: هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب. فقال الرومي: ومن أُمُّه؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله. فقال النصراني: أفٍ لك ولدينك!! لي دين أحسن من دينك، إنَّ أبي من حوافد (أحفاد) داود عليه السلام، وبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يُعَظِّمُوني ويأخذون من تراب قدمي تبرُّكاً بأبي من حوافد داود عليه السلام، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله وما بينه وبين نبيّكم إلَّا أمٌّ واحدة؟!! فأيُّ دين دينكم. ثمَّ قال ليزيد: عندنا بلدة فيها كنائس كثيرة، أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حُقَّة ذهب مُعَلَّقة فيها حافر، يقولون إنَّ هذا حافرُ حمارٍ كان يركبه عيسى عليه السلام، وقد زيَّنوا ما حول الحُقَّة بالذهب والديباج. ويقصدها في كلِّ عام عالم من النصارى، ويطوفون حولها ويقبّلونها، ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى، هذا شأنهم ودأبهم بحافرِ حمارٍ يزعمون أنَّه حافرُ حمارٍ كان يركبه عيسى عليه السلام نبيّهم، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيِّكم؟ فلا بارك الله فيكم ولا في دينكم. فقال يزيد: اقتلوا هذا النصراني لئلا يفضحني في بلاده. فلمّا أحسَّ النصراني بذلك قال له: تريد أنْ تقتلني؟ قال يزيد: نعم. قال النصراني: اعلم أنِّي رأيت البارحة نبيَّكم في المنام يقول لي: يا نصراني أنت من أهل الجنة، فتعجبت من كلامه، وأنا أشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله صلَّى الله عليه وآله، ثمّ وثب إلى رأس الحسين عليه السلام فَضَمَّه إلى صدره، وجعل يقبله ويبكي حتى قُتِلَ.

وتوجد شواهد كثيرة في أنّ العالم كلَّه يلهج بذكر الإمام الحسين عليه السلام منها ما يلي:

قال أنطوان بارا المسيحي: (لو كان الحسين منّا لنشرنا له في كلِّ أرض رايةً، ولأقمنا له في كلِّ أرض منبراً، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين).

وقال المستشرق الإنجليزي ادوار دبروان: وهل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثاً عن كربلاء؟ وحتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها.

وقال الكاتب الإنجليزي كارلس السير ديكنز: إنَّ كان الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنَّني لا أُدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنَّه ضحى فقط لأجل الإسلام.

وقال الهندوسي تاملاس توندون: هذه التضحيات الكبرى من قبيل شهادة الحسين رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أنْ تبقى إلى الأبد، وتُذكر على الدوام.

وقال غاندي: لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أنَّ الهند إذا أرادت إحراز النصر، فلا بُدَّ لها من اقتفاء سيرة الحسين.

وقال موريس دوكابري: يقال في مجالس العزاء إنَّ الحسين ضحى بنفسه لصيانة شرف وأعراض الناس، ولحفظ حرمة الإسلام، ولم يرضخ لتسلط ونزوات يزيد، إذن تعالوا نتخذه لنا قدوة، لنتخلص من نير الاستعمار، وأنْ نفضل الموت الكريم على الحياة الذليلة.

وقال توماس ماساريك: على الرغم من أنَّ القساوسة لدينا يؤثرون على مشاعر الناس عبر ذكر مصائب المسيح، إلَّا أنَّك لا تجد لدى أتباع المسيح ذلك الحماس والانفعال الذي تجده لدى أتباع الحسين لا تمثل إلَّا قشة أمام طود عظيم.

وقال جورج جرداق: حينما جدّ يزيد الناس لقتل الحسين وإراقة الدماء، وكانوا يقولون: كم تدفع لنا من المال؟ أمَّا أنصار الحسين فكانوا يقولون لو أنَّنا نقتل سبعين مرة، فإنَّنا على استعداد لأنْ نقاتل بين يديك ونُقتل مرة أُخرى أيضاً.

وقال السير برسي سايكوس: حقاً إنَّ الشجاعة والبطولة التي أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كلَّ من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً، هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت

لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال له إلى الأبد.

وقال المستشرق الألماني ماربين: قدم الحسين للعالم درساً في التضحية والفداء من خلال التضحية بأعز الناس لديه ومن خلال إثبات مظلوميته وأحقيته، وأدخل الإسلام والمسلمين إلى سجل التاريخ ورفع صيتهما. لقد أثبت هذا الجندي الباسل في العالم الإسلامي لجميع البشر أنَّ الظلم والجور لا دوام له. وأنَّ صرح الظلم مهما بدا راسخاً وهائلاً في الظاهر إلَّا أنَّه لا يعدو أنْ يكون أمام الحق والحقيقة إلَّا كريشة في مهب الريح.

وقال الإنجليزي وليم لوفتس: لقد قدم الحسين بن عليٍّ أبلغ شهادة في تاريخ الإنسانية، وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة.

وقالت فريا ستارك الكاتبة الإنجليزية: على مسافة غير بعيدة من كربلاء جعجع الحسين إلى جهة البادية، وظل يتجول حتى نزل في كربلاء وهناك نصب مخيمه.. بينما أحاط به أعداؤه ومنعوا موارد الماء عنه. وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جلية في أفكار الناس في يومنا هذا كما كانت قبل (١٣٨٠) سنة وليس من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة أن يستفيد كثيراً من زيارته ما لم يقف على شيء من هذه القصة لأنَّ مأساة الحسين تتغلغل في كلِّ شيء حتى تصل إلى الأُسس، وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها قط من دون أنْ ينتابني البكاء.

وقال كارل بروكلمان: الحق أنَّ ميتة الشهداء التي ماتها الحسين بن عليٍّ قد عجلت في التطور الديني لحزب عليٍّ، وجعلت من ضريح الحسين في كربلاء أقدس محجة.

وقال جون أشر: إنَّ مأساة الحسين بن عليٍّ تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الاجتماعي.

وقال توماس لايل: ولم يكن هناك أيُّ نوع من الوحشية أو الهمجية، ولم ينعدم الضبط بين الناس فشعرت في تلك اللحظة وخلال مواكب العزاء وما زلت أشعر بأنَّني توجهت في تلك اللحظة إلى جميع ما هو حسن وممتلئ بالحيوية في الإسلام، وأيقنت بأنَّ الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم، بوسعهما أنْ يهزا العالم هزاً فيما لو وجها توجيهاً صالحاً وانتهجا السبل القويمة ولا غرو فلهؤلاء الناس واقعية فطرية في شؤون الدين.

قال ستين لويد: حدثت في واقعة كربلاء فظائع ومآسٍ صارت فيما بعد أساساً لحزن عميق في اليوم العاشر من شهر محرم من كلِّ عام.. فلقد أحاط الأعداء في المعركة بالحسين وأتباعه، وكان بوسع الحسين أنْ يعود إلى المدينة لو لم يدفعه إيمانه الشديد بقضيته إلى الصمود ففي الليلة التي سبقت المعركة بلغ الأمر بأصحابه القلائل حداً مؤلماً، فأتوا بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم فحضروه في ساعة من الليل، وجعلوه كالخندق ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب وأضرموا فيه النار لئلا يُهاجموا من الخلف.. وفي صباح اليوم التالي قاد الحسين أصحابه إلى الموت، وهو يمسك بيده سيفاً وباليد الأُخرى القرآن، فما كان من رجال يزيد إلَّا أنْ وقفوا بعيداً وصّوبوا نبالهم فأمطروهم بها.. فسقطوا الواحد بعد الآخر، ولم يبق غير الحسين وحده.. واشترك ثلاثة وثلاثون من رجال بني أُمية بضربة سيف أو سهم في قتله ووطأ أعداؤه جسده وقطعوا رأسه.

وقال كارلتون كون: إنَّ مأساة مصرع الحسين بن عليٍّ تشكل أساساً لآلاف المسرحيات الفاجعة.

وقال يوليوس فلهاوزن: على الرغم من القضاء على ثورة الحسين عسكرياً، فإنَّ لاستشهاده معنى كبيراً في مثاليته، وأثراً فعالاً في استدرار عطف كثير من المسلمين على آل البيت عليهم السلام.

وقال هوكارت: دلَّت صفوف الزوار التي تدخل إلى مشهد الحسين في كربلاء والعواطف التي ما تزال تؤججها في العاشر من محرم في العالم الإسلامي بأسره، كلُّ هذه المظاهر استمرت لتدلَّ على أنَّ الموت ينفع القديسين أكثر من أيام حياتهم مجتمعة.



وقال جرترود بل: لقد أصبحت كربلاء مسرحاً للمأساة الأليمة التي أسفرت عن مصرع الحسين.

وقال السيد برسي سايكس: إنَّ الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا.

وقال الدومييلي في كتابه (العلم عند العرب): (... نشبت معركة كربلاء التي قتل فيها الحسين بن عليٍ، وخلفت وراءها فتنة عميقة الأثر، وعرضت الأُسرة الأُموية في مظهر سيئ.. ولم يكن هناك ما يستطيع أن يحجب آثار السخط العميق في نفوس القسم الأعظم من المسلمين على السلالة الأُموية والشك في شرعية ولايتهم.

وقال غوستاف غرونيبام: الكتب المؤلفة في مقتل الحسين تعبر عن عواطف وانفعالات طالما خبرتها بنفس العنف أجيال من الناس قبل ذلك بقرون عديدة.

وأضاف قائلاً: إنَّ وقعة كربلاء ذات أهمية كونية، فلقد أثَّرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين، الرجل النبيل الشجاع في المسلمين، تأثيراً لم تبلغه أية شخصية مسلمة أُخرى.

قال الإنجليزي جيبون: نسب إليه الأستاذ الهندي سيد أمير علي في كتابه مختصر تاريخ العرب هذا القول: إنَّ مأساة الحسين المروّعة على الرغم من تقادم عهدها تثير العطف وتهز النفس من أضعف الناس إحساساً وأقساهم قلباً.. وأضاف سيد أمير علي تعقيباً على رأي جيبون قائلاً: مذبحة كربلاء قد هزّت العالم الإسلامي هزاً عنيفاً، ساعد على تقويض دعائم الدولة الأُموية.

وقد ركّز غاندي في قوله على مظلومية الإمام الحسين بقوله: تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر.

قالت الباحثة الإنجليزية ستيفينس: على مقربة من مدينة كربلاء حاصر هراطقة يزيد بن معاوية وجنده الحسين بن عليٍ ومنعوا عنه الماء ثمَّ اجهزوا عليه، إنَّها أفجع مآسي الإسلام طراً.

قال المستشرق الأمريكي فيليب حتي: أصبح اليوم الذي قتل فيه الحسين بن عليٍ وهو العاشر من محرم يوم حداد ونواح عند المسلمين.. ففي مثل هذا اليوم من كلِّ عام تمثل مأساة النضال الباسل والحدث المفجع الذي وقع للإمام الشهيد وغدت كربلاء من الأماكن المقدسة في العالم، وأصبح يوم كربلاء وثار الحسين صيحة الاستنفار في مناهضة الظلم.

قال عبد الرحمن الشرقاوي الكاتب المصري: الحسين شهيد طريق الدين والحرية ويجب أنْ لا يفتخر الشيعة وحدهم باسم الحسين عليه السلام، بل يجب أنْ يفتخر جميع أحرار العالم بهذا الاسم الشريف.

وقال الطنطاوي العالم المصري: الملحمة الحسينية تبعث في الأحرار شوقاً للتضحية في سبيل الله وتجعل استقبال الموت أفضل الأماني حتى تجعلهم يتسابقون إلى منحر الشهادة.

من مدرسة الحسين عليه السلام نتعلم الخُلق الحسن فهو الذي يعتق الجارية إذا حيته بطاقة الريحان قائلاً: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾.

إنّنا نفخر بمواقف كهذه وبخلق قيم كهذا.

ويحلو لنا أنْ نتشدق بها لنقول هذه أخلاق الدين، هذه أخلاق القرآن، هذه أخلاق الإسلام الحنيف.

لكنّنا في ساحة الواقع وساعة التطبيق تتخالف أقوالنا أفعالنا فيصرع بعضنا بعضاً ويلتهم الواحد فينا أخاه رغم أنّنا نعتقد بصحة الحديث: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»، «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».

إنّنا نتلوا الكتاب ونجود آياته بدقة (جدول الضرب) كما نزل ولكنَّ معانيه غائبة عن الوجدان ولا صدى لها في حياتنا، أولم نرتل قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.[البقرة/٤٤]

ألم نقرأ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾.[الصف/٢]

لقد أبدعنا تلاوتها ولكنَّ تطبيق القرآن ضاع في زمن نهتم بالزخارف وندع المضامين.



نداء سيد الشهداء عليه السلام إلــى يــوم الـقـيـامـة

*فؤاد المازني

مقولة صدح بها سيد شباب أهل الجنّة عليه السلام.

عَلَمٌ من أعلام الرسالات السماوية ومَنبَعٌ من منابع الخير والصلاح في الأُمّة منذ قرابة ألف وثلاثمائة عام بعد الهجرة النبوية، قبالة آلاف من البشرية التي انسلخت من الحضيرة الإنسانية.

فحاول عليه السلام بكلِّ السُبُل التأثير في شخصيتهم مستخدماً الرمزية والقيادية ليحيي الروح الإنسانية لدى هؤلاء المتوحشين.

ويستفز فيهم أُصول العادات والتقاليد التي جُبلت عليها حياتهم، ويستنهض الضمائر الموشكة على الطمس داخل صدورهم، ويسترجع الوعي الغائب عن عقولهم.

كلمات قالها الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام وهو يخاطب بها جيش عمر بن سعد لعنه الله في كربلاء بعد أنْ خلا الميدان من أصحابه وأهل بيته ولم يبقَ معه أحد.

وإلى الوقت الحاضر لم يُسدل الستار على هذه المقولة وغيرها من المقولات التي زخرت بها واقعة كربلاء في صراع الباطل لطمس الحق والحقيقة، ويأبى الحق إلَّا أنْ يتم نوره رغم كيد الطواغيت.

لا تزال هذه الكلمات ترنُّ في أسماع الزمن وتدقُّ أجراسها في كلِّ وادٍ حيثما وجد الظالمون والمستبدون والانتهازيون والمنافقون.

اليوم الدين لعق على ألسنة الكثيرين والمعرفة التوعوية والإرشادية والتحذير بالمعاد واضحة للجميع كما هي واضحة ومتجلية ومعروفة في ذلك الزمان وفي ذلك الموقف بين معسكر الحق وشياطين الباطل الذين ركبوا موجة الدين ولم يعتنقوه أو كانوا معتنقيه وباعوه بأبخس الأثمان وهم يتوهمون بأنّ الدنيا قد تزيّنت لهم كما توهم من كان قبلهم.

فهؤلاء لم يكن لهم دين ولم يوقنوا بيوم المعاد ولم يخافوا من لقائه.

في ذلك الموقف خاطبهم عليه السلام «كونوا أحراراً في دنياكم».

واليوم يعيد النداء لمن غرتهم الأماني «كونوا أحراراً في دنياكم»

والحرُّ من لا يعتدي على حقوق الآخرين.

ولا يسخر من معاناة المستضعفين.

ولا يسرق أموال المستحقين.

ولا يستهين بدماء المظلومين.

ولا يتاجر بالدين.

ولا يتلاعب بمقدرات الناس.

ما معنى قوله عليه السلام: «كونوا أحراراً في دنياكم»؟

*شعبة الدراسات

في يوم عاشوراء، عندما أصبح الإمام الحسين عليه السلام وحيداً فريداً يقاتل أولئك الفجرة الكفرة، جاء شمر في جماعة من أصحابه فحالوا بين الإمام الحسين وبين رحله الذي فيه ثقله وعياله، فصاح الحسين عليه السلام «وَيْلَكُمْ يَا شِيعَةَ آلَ أَبِي سُفْيَان، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لاَ تَخَافُونَ يَوْمَ الْمَعادِ، فَكُونُوا أَحْراراً فِي دُنْياكُم هذِه، وَارْجِعُوا إِلى أَحْسابِكُم إِنْ كُنْتُمْ عُرُباً كَمَا تَزْعَمُون». فناداه شمر لعنه الله: ما تقول يا ابن فاطمة؟ فقال: «أَقُولُ إِنّي أقاتِلُكُم وَتُقاتِلُونَني، وَالنِّساءُ لَيْسَ عَلَيْهِنّ جُنَاحٌ، فَامْنَعُوا عُتاتَكُم وَجُهّالَكُم وَطُغاتَكُم مِنَ التّعَرُّضِ لِحُرَمي». فقال شمر لعنه الله: لك ذلك يا ابن فاطمة. ثم صاح إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه، فلعمري هو كفؤ كريم، فقصدوه بالحرب. (أعيان الشيعة:١/٦٠٩. بحار الأنوار:٤٥/٥١. مقتل الخوارزمي:٢/٤١٥).

إنّ سلوك الإنسان وتصرفاته يعتمد على أُمور منها ما يلي:

الأمر الأوّل: أحكام الدين، والخوف من الحساب

فالدّين أحد أهمّ مكونات شخصية الإنسان وتفكيره وسلوكه وتعامله ونفسه ومع من حوله، الدّين في اللّغة من الفعل دان أي اعتنق واعتقد بفكرٍ ما أو مذهبٍ ما وسار في ركابه وعلى هداه.

فإنّ للدين أحكاماً وضوابط، جاءت بها الشريعة الإسلامية، فمن عمل بهذه الأحكام واتبع الضوابط الصحيحة ينجو من حساب يوم المعاد.

أمّا المخالف لهذه الأحكام فيحاسب حساباً عسيراً يوم القيامة.

فالإنسان إذا أراد أنْ يقوم بأفعال لا سيما العظيمة يتجنب مخالفة أحكام الدين لئلا يعذب يوم المعاد.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.[الزلزلة/٧-٨]

نعم قد يغفل الإنسان أو يتغافل عن كون بعض الأفعال معصية، ولكنْ عند تذكيره بالمعاد ويوم الحساب وتوضيح عظم هذا الفعل وحرمته، يرجع الإنسان عمّا قصده من المعصية.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]

فكيف بمن يقتل ابن بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة؟

لا شك أنّ ذلك الجيش لم يراعِ أبسط الأحكام الإسلامية.

والنتيجة أنّهم ليسوا أصحاب دين، ولا يخافون يوم المعاد.

فكلُّ من يخاف يوم المعاد لا يفكّر في اقتراف هذه الجريمة وبهذه الوحشية فضلاً عن تنفيذها بيده والمشاركة فيها.

ولهذا يقول عمر بن سعد لعنه الله:

فوالله ما أدري وإنّي لحائر
أفكّر في أمري على خطرين

أأتــرك ملك الــري والــري منيتي

أم أرجــع مـأثـومـاً بقتل حسين

حسين ابن عمي والحوادث جمة

لعمري ولـي فـي الـري قـرة عين

ألا إنَّـمـا الـدنـيـا بـخـيـر معجّل

فـمـا عـاقـل بــاع الــوجــود بـديـن

وأنَّ إلــه الــعـرش يـغـفـر زلـتـي

ولــو كــنــت فيها أظـلـم الثقلين

يــقــولــون إنَّ الله خــالــق جنة

ونـــار وتــعــذيــب وغـــلِّ يـديـن

فــإنْ صـدقـوا فيما يقولون إنَّني

أتـوب إلـى الـرحـمـان مـن سنتين

وإنْ كـذبـوا فـزنـا بـدنـيـا عظيمة

ومــلــك عـقـيـم دائــم الحجلين

الأمر الثاني: التقاليد الاجتماعية والعادات الإنسانية

كثيراً ما تكون الـعـادات والتقاليد والقوانين الاجتماعية مانعاً من اقتراف الإنسان بعض الأفـعـال، ومـن القوانين العربية منذ زمن الجاهلية عدم القتال في الشهر الحرام، وعدم التعرض للنساء والأطفال بالتخويف والترويع لا سيما مع حياة الرجل صاحب النساء.

ولــكــنَّ تـلـك الطغمة لم تـرعَ حتى الـقـوانـيـن والأحـكـام الـعـربـيـة، والـتـقـالـيـد القبلية، والعادات الاجتماعية التي كانت قبل الإسلام.

أنكر الإمام عليه الـسـلام عليهم أنْ يكون ما ارتكبوه وأبدوه من النفسيات القاسية من شأن ذوي الأحساب، أو مشابهاً لما يؤثر من صفات العرب من النخوة والشهامة وحماية الجار والدفاع عن النزيل والاحتفاء بالشرفاء ورعاية الحرمات وحفظ العهود وخفر الذمم.

الأمر الثالث: الحرية النفسية والشرافة الذاتية.

كثير من الأفعال أو الأقوال يتركها الإنسان الشريف حتى ولو لم ينه عنها الدين أو المجتمع، ولهذا نرى بعض الأفراد كانوا تمتنعون عن شرب الخمر أو الزنا في زمن الجاهلية.

إذن الإنسان هنا يفكر بحرية ليرى الحق من الباطل، ليميز بين الخير والشر، بين الصواب والخطأ؛ لذا نراهم يترفعون عن كثير من المساوئ والعيوب.

أمَّا ذلك الجيش فلم يلتزم بأيّ مبدأ أو شعور إنساني، فأيُّ إنسان يقبل منع الماء عن عدوه، فضلاً عن منع النساء والأطفال الرضع من شرب الماء.

وأيُّ إنسان يقبل بأنْ يطأ صدر ميت برجله فضلاً عن سحقه تحت سنابك الخيل!

الأمر الرابع: العبودية لغير الله تعالى

هنا يصبح الإنسان عبداً لغيره ولا يرفض له طلباً ولا يسمح لنفسه بالتفكير في صحة ما يقوم به أو خطأه، بل طمس على قلبه فلا يرى ولا يسمع ولا يعقل أيّ شيء ما عدا أوامر سيده، سواء كان سيده هو يزيد أو قطام أو ملك الري أو غير ذلك.

إذن: إنّ الدين هو جملة مبادئ تدين بها أُمَّة من الأُمم اعتقاداً أو عملاً، وفي الاصطلاح الشرعي الإسلامي هو التسليم لله بالوحدانية وإفراده بالعبادة قولاً وفعلاً واعتقاداً، حسب ما جاء به النبيُّ محمّد صلَّى الله عليه وآله في العقائد والأحكام، والآداب والتشريعات، والأوامر والنواهي، وكلِّ أُمور الحياة.

فإنْ لم يكن الإنسان ذا دين ويخاف يوم المعاد، فلا يصبح عبداً لغيره يسيره كيف يشاء ويشتهي؛ فيفقد كلَّ شيء حتى إنسانيته وشرفه واستقلاله، ولا أقل من تحكيم العقل والفطرة ليتخذ القرار الصحيح والنهج السليم في حياته الدنيوية، ولا أقل من المحافظة على العادات والتقاليد الحسنة القومية.

أي أنَّ الإنسان إذا لم يكن له دين، فليلتزم بالتقاليد والأعراف الاجتماعية، لعدم الوقوع في المعاصي.



جبرائيل عليه السلام وقبضة من تراب كربلاء

*شعبة الدراسات

عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: استأذن ملك القطر ربَّه عزَّ وجلَّ أنْ يزور النبيّ صلَّى الله عليه وآله، فأذن له وكان يوم أُمِّ سلمة، فقال لها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد». فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين بن عليٍّ عليهما السلام فاقتحم ودخل يتوثب على النبيّ صلَّى الله عليه وآله وجعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله يلثمه ويقبله. فقال له الملك: أتحبه؟ قال: «نعم». قال: «أمَا إنَّ أُمَّتك ستقتله، وإنْ شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه». قال: «نعم». فجاءه بسهلة أو تراب أحمر، فأخذته أُمُّ سلمة وجعلته في ثوبها. فقال ثابت: يقال إنَّها من أرض كربلاء. (أمالي الشيخ الطوسي:ج١، ص٣٣٨، المجلس الحادي عشر، ح١٠٥).

وعن عمرو بن أبي عمرو، وعن المطلب بن حنطب، عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّها قالت: دخل جبرائيل عليه السلام على النبيّ صلَّى الله عليه وآله فقال لي: «احفظي علينا الباب لا يدخل عليَّ أحد». فسمعت نحيبه فدخلت فإذا الحسين عليه السلام بين يديه، فقلت: والله يا رسول الله ما رأيته حين دخل. فقال: «كان جبرائيل عندي آنفاً فقال لي: يا محمَّد أتحبه؟ فقلت: يا جبرائيل:

أمَّا من حب الدنيا فنعم. قال: فإنَّ أُمَّتك ستقتله بعدك، تريد أنْ أُريك تربته يا محمَّد؟ فدفع إليَّ هذا التراب». قالت أُمُّ سلمة رضي الله عنها: فأخذته فجعلته في قارورة فأصبته يوم قُتل الحسين عليه السلام وقد صار دماً. (أمال الشيخ الطوسي:ج١، ص٣٢١، المجلس الحادي عشر، ح٨٦).

وعن شهر بن حوشب، عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: كان جبرائيل عليه السلام عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والحسين عليه السلام معي، فبكى فتركته فدنا من رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقمت فأخذته فبكى فتركته، فدخل على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، فقال جبرائيل عليه السلام: «أتحبه يا محمد؟»، قال: «نعم». قال: «إنَّ أُمَّتك ستقتله وإنْ شئتَ أَريتك من تربة الأرض التي يقتل بها». فأراه إياها، فإذا الأرض يقال لها كربلاء. (كامل الزيارات: ص٦٠، بسن آخر).

عن ابن سحيم عن أبيه قال: سمعت أنس بن الحارث يقول: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «إنَّ ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره». قال: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء، فقتل مع الحسين عليه السلام.

عن ابن عباس قال: كان الحسين جالساً في حجر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال جبريل: «أتحبه؟»، فقال: «وكيف لا أُحبّه وهو ثمرة فؤادي»؟ فقال: «أمَا إنَّ أُمَّتك ستقتله، ألا أُريك موضع قبره؟»، فقبض قبضة فإذا تربته حمراء.

عن أُمِّ سلمة أنَّها قالت: كان جبرئيل عليه السلام عند النبيِّ والحسين بن عليٍّ معي، فغفلت عنه، فذهب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وجعله النبيُّ على فخذه، فقال له جبرئيل: «أتحبه يا محمد؟»، فقال صلَّى الله عليه وآله: «نعم» فقال: «أمَا إنَّ أُمَّتك ستقتله، وإنْ شئتَ أريتُك تربة الأرض التي يقتل فيها»، فبسط جناحيه إلى الأرض وأراه أرضاً يقال لها كربلاء، تربة حمراء بطف العراق.

عن أُمِّ الفضل قالت: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله والحسين في حجره: «إنَّ جبريل أخبرني أنَّ أُمَّتي تقتل الحسين».

عن عبد الله بن عمرو قال: إنَّ معاذ بن جبلة أخبره قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله مصفرّ اللون فقال: صلَّى الله عليه وآله «أنا محمّد أُوتيت جوامع الحكم فواتحها وخواتمها، فأطيعوني ما دمت بين أظهركم... يزيد لا بارك الله في يزيد»، ثم ذرفت عيناه بالدموع صلَّى الله عليه وآله ثم قال: «نعي إلى الحسين، ثم أُتيتُ بتربته وأُخبرتُ بقتله وقاتله أو قتلته، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلَّا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلَّط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعاً»، ثمَّ قال: «آهٍ لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف».

وعن يحيى الحضرمي قال: إنَّه سار مع عليٍّ وكان صاحب مطهرته، فلمَّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين فنادى عليٌّ عليه السلام: «صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله» وهو بشط الفرات، فقلت: وما ذاك؟ قال: «دخلت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ذات يوم وإذا عيناه تذرفان، قلت يا نبيَّ الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل عليه السلام آنفاً فأخبرني أنَّ الحسين يقتل بشط الفرات». قال: «فقال: هل لك أنْ أُشمك من تربته؟ قلت: نعم». قال: «فمدَّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أنْ فاضتا».

ذكر الحاكم الجشمي: أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لما سار إلى صفين نزل بكربلاء وقال لابن عباس: «أتدري ما هذه البقعة»؟ قال: لا. قال: «لو عرفتها لبكيتَ بكائي»، ثم بكى بكاءً شديداً، ثمَّ قال: «ما لي ولآل أبي سفيان»، ثم التفت إلى الحسين وقال: «صبراً يا بني، فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده».

عن عائشة قالت: دخل الحسين بن عليٍّ عليهما السلام على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وهو يوحى إليه، فنزل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وهو منكب، وهو على ظهره، فقال

جبرئيل لرسول الله صلَّى الله عليه وآله: «أتحبه يا محمد؟» قال: «يا جبريل وما لي لا أُحبّ ابني» قال: «فإنَّ أُمّتك ستقتله من بعدك»، فمدَّ جبريل عليه السلام يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: «في هذه الأرض يُقتل ابنك هذا، واسمها الطف»، فلمَّا ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله خرج رسول الله والتزمه في يده يبكي فقال: «يا عائشة، إنَّ جبريل أخبرني أنَّ ابني حسيناً مقتول في أرض الطف، وأنَّ أُمَّتي ستُفتن بعدي»، ثمَّ خرج إلى أصحابه فيهم عليٌّ وأبو بكر وعمر وعمار وأبو ذر وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبريل أنَّ ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أنَّ فيها مضجعه».

عن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «لمَّا ثقل رسول الله صلَّى الله عليه وآله في مرضه والبيت غاص بمن فيه قال: ادعوا لي الحسن والحسين فجاءا، فجعل يلثمهما حتى أُغمي عليه»، فجعل عليٌّ يرفعهما عن وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، ففتح عينيه وقال: «دعهما يتمتعا مني وأتمتع منهما فستصيبهما بعدي أثرة... عليهم السلام».

وعن الأصبغ بن نباتة عن عليٍّ عليه السلام قال: أتينا مع عليٍّ بن أبي طالب فمررنا بأرض كربلاء، فقال عليٌّ عليه السلام: «ههنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم ومهراق دمائهم، فتية من آل محمَّد صلَّى الله عليه وآله يُقتلون في هذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض».

وعن عليٍّ عليه السلام قال: «ليقتلن الحسين قتلاً، وإنّي لأعرف التربة التي يُقتل فيها قريباً من النهرين».

فلمَّا أُحيط بالحسين بن عليٍّ عليهما السلام قال: «ما اسم هذه الأرض»؟ قيل: كربلاء فقال: «صدق النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: إنَّها أرض كرب وبلاء».

عن أبي وائل، عن أُمِّ سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله في بيتي، فنزل جبريل عليه السلام فقال: «يا محمد، إنَّ أُمَّتك تقتل ابنك هذا من بعدك»، وأومأ بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وضمَّه إلى صدره، ثمَّ قال صلَّى الله عليه وآله: «يا أُمَّ سلمة، وديعة عِندكِ هذه التربة»، فشمها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وقال: «ويح كرب وبلاء» قالت: وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «يا أُمَّ سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أنَّ ابني قد قُتل» قال: فجعلتها أُمُّ سلمة في قارورة، ثمَّ جعلت تنظر إليها كلَّ يوم وتقول: إنَّ يوماً تتحولين الى دماً ليوم عظيم.

وجاء جبرئيل عليه السلام بقبضة من تراب كربلاء وأعطاها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله فشمّها وقبّلها وفاضت عيناه بالدموع.

وقد احتفظت أُمُّ سلمة بقطعةٍ من تراب كربلاء وصيّرتها في قارورة.

المصادر:

السجود مفهومه وآدابه والتربة الحسينية لمركز الرسالة: ج١، ص٩٠.

المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٩٤، ح٤٨١٨، وفي الطبعة الثالثة: ص١٧٦. فضائل أبي عبد الله الحسين بن عليٍّ الشهيد عليه السلام. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه و ٤: ٤٣٩ - ٤٤٠ / ٨٢٠١ كتاب تعبير الرؤيا.

سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٣، ص٢٨٨، ح٤٨.

ترجمة الحسين الشهيد عليه السلام طبع مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠١ هـ الطبعة الأُولى.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: ج٩، ص١٧٩، باب فيما اشترك فيه الحسن والحسين من الفضل، طبع دار الكتاب العربي، بيروت لسنة ١٩٦٧م، الطبعة الثانية.

مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج١، ص٢٣١، ١-٦ في إخبار رسول الله صلَّى الله عليه وآله عن الحسين عليه السلام وأحواله، تحقيق الشيخ محمد السماوي، طبع دار أنوار الهدى لسنة ١٤١٨هـ، الطبعة الأُولى.

الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي المكي: ص٢٩٢، ٢٨، الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها، طبع دار الكتب العلمية، بيروت لسنة ١٤١٤هـ، الطبعة الثالثة.

كنز العمال للمتقي الهندي: ج٦، ص٢٢٣.

الخصائص الكبرى للسيوطي: ج٢، ص١٢٥.

مثير الأحزان في أحوال الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أمناء الرحمن للشيخ شريف الجواهري: ص١٢، طبع منشورات الرضي، قم المقدسة، الطبعة الثانية.

اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص٦، طبع منشورات الرضي، قم المقدسة، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف لسنة ١٣٦٩هـ.

مسند أحمد: ج٤، ص٢٤٢.

ذخائر العقبى: ص١٤٦.

تهذيب تاريخ دمشق لابن منظور: ج٧، ص١٣٤، ترجمة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، طبع دار الفكر، بيروت.

الأمالي الشيخ الصدوق: ص٢٠٢، ح١، ص٢٠٣، ح٣، مجلس ٢٩، تحقيق قسم الدراسات مؤسسة البعثة، قم المقدسة، لسنة ١٤١٧هـ.

مثير الأحزان للجواهري: ص١٢.

ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الحنفي: ج٣، ص١٣، الباب ٦٠، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأُسوة، قم المقدسة لسنة ١٤١٦هـ، الطبعة الأُولى.





الخطاب الحسيني يــوم عـــاشـــوراء المفهوم والتطبيق

*الشيخ محمد العبيدان القطيفي

لما أصبح الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء بعدما صلّى بأصحابه صلاة الصبح، عبأهم للقتال، بعدما خطب فيهم، وأخبرهم أن الله تعالى أذن في قتله وقتلهم، ثم عمد إلى خطاب قوم بني أمية، فألقى فيهم خطبتين، جاء في إحداهما: «...سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَاراً أَقْدَحْنَاهَا عَلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ إِلْباً لأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ، بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلاَ أَمَلَ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهَا».

عندما نحاول التأمل في هذه الكلمات نجد أنَّها تنطوي على العديد من المضامين، لكنَّنا نحاول أنْ نتعرض لمقتطفات منها بصورة موجزة.

قال عليه السلام: «سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ».

يتعرض عليه السلام في هذا المقطع إلى قسمين من أقسام الناس في خارطة الصراع، ذلك لأنّ الناس على خارطة الصراع ينقسمون إلى أقسام وطوائف مختلفة منها:

أوّلا: الطرف الأول للصراع.

ثانياً: الطرف الثاني للصراع.

ثالثاً: الفئة المتفرجة على ساحة الصراع، المتخلفة عن الحق، وهي شريحة واسعة من المجتمع.

أمّا بالنسبة إلى الطائفتين الأُولى والثانية، فهما يدفعان ضريبة الصراع، التي هي تساقط الأيدي والرؤوس، وهي تعم طرفي الصراع على نحو سواء، فلا يختص ذلك بجانب الحق، أو بجانب الباطل، وهذه سنّة الله تعالى في كلّ صراع، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.[النساء/١٠٤]

عن عَلِيِّ بْن إِبْرَاهِيم روى ما جرى بعد غزوة أُحد فقَالَ: (تَآمَرَتْ قُرَيْشٌ عَلَى أَنْ يَرْجِعُوا وَيُغِيرُوا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَيُّ رَجُلٍ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ» فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَا آتِيكَ بِخَبَرِهِمْ» قَالَ: «اذْهَبْ، فَإِنْ كَانُوا رَكِبُوا الْخَيْلَ وَجَنَبُوا الإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ، وَاللهِ لَئِنْ أَرَادُوا الْمَدِينَةَ لأُنَازِلَنَّ اللهَ فِيهِمْ، وَإِنْ كَانُوا رَكِبُوا الإِبِلَ وَجَنَبُوا الْخَيْلَ فَإِنَّهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ». فَمَضَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا بِهِ مِنَ الأَلَمِ وَالْجِرَاحَاتِ حَتَّى كَانَ قَرِيباً مِنَ الْقَوْمِ، فَرَآهُمْ قَدْ رَكِبُوا الإِبِلَ وَجَنَبُوا الْخَيْلَ، فَرَجَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «أَرَادُوا مَكَّةَ». فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ وَلاَ يَخْرُجْ مَعَكَ إِلَّا مَنْ كَانَتْ بِهِ جِرَاحَةٌ». فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُنَادِياً يُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، مَنْ كَانَتْ بِهِ جِرَاحَةٌ فَلْيَخْرُجْ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ جِرَاحَةٌ فَلْيُقِمْ. فَأَقْبَلُوا يَضْمِدُونَ جِرَاحَاتِهِمْ وَيُدَاوُونَهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

{وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ ما لا يَرْجُونَ}).
وقال تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}. فَخَرَجُوا عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ الأَلَمِ وَالْجِرَاحِ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَقُرَيْشٌ قَدْ نَزَلَتِ الرَّوْحَاءَ، قَالَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: نَرْجِعُ فَنُغِيرُ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَقَدْ قَتَلْنَا سَرَاتَهُمْ وَكَبْشَهُمْ - يَعْنُونَ حَمْزَةَ - فَوَافَاهُمْ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَسَأَلُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: تَرَكْتُ مُحَمَّداً وَأَصْحَابَهُ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ يَطْلُبُونَكُمْ أَجَدَّ الطَّلَبِ. فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هَكَذَا النَّكَدُ وَالْبَغْيُ، قَدْ ظَفِرْنَا بِالْقَوْمِ وَبَغَيْنَا، وَاللهِ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ قَطُّ بَغَوْا. فَوَافَاهُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ الأَشْجَعِيُّ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْمَدِينَةَ، لأَمْتَارَ لأَهْلِي طَعَاماً. قَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تَمُرَّ بِحَمْرَاءِ الأَسَدِ وَتَلْقَى أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَتُعْلِمَهُمْ أَنَّ حُلَفَاءَنَا وَمَوَالِيَنَا قَدْ وَافَوْنَا مِنَ الأَحَابِيشِ حَتَّى يَرْجِعُوا عَنَّا، وَلَكَ عِنْدِي عَشَرَةُ قَلَائِصَ أَمْلأُهَا تَمْراً وَزَبِيباً؟ قَالَ: نَعَمْ. فَوَافَى مِنْ غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَمْرَاءَ الأَسَدِ، فَقَالَ لأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَيْنَ تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: قُرَيْشَ. قَالَ: ارْجِعُوا، فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ حُلَفَاؤُهُمْ، وَمَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُمْ، وَمَا أَظُنُّ إِلَّا وَأَوَائِلُ الْقَوْمِ قَدْ طَلَعُوا عَلَيْكُمُ السَّاعَةَ. فَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، مَا نُبَالِي أَنْ يَطْلَعُوا عَلَيْنَا. فَنَزَلَ جَبْرَئِيلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: «ارْجِعْ - يَا مُحَمَّدُ - فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَرْعَبَ قُرَيْشاً، وَمَرُّوا لاَ يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ». فَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ...). (البرهان في تفسير القرآن:١/٦٩٤.تفسير القمي:١/١٢٤).

هذا ويتميز جانب الحق في هذا الصراع بتأييد الله تعالى وإسناده ونصره لهم في الصراع، وقد وعد الله تعالى المؤمنين بذلك، يقول عزَّ من قائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.[محمد/٧]

وقال سبحانه وتعالى أيضاً:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. **[المجادلة/٢١].**

وهو ما يرجوه المؤمنون من الله سبحانه وتعالى في ساحة الصراع: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾.

ولهذا الرجاء أثر في تطمين ودعم نفوس المؤمنين في ساحة المعركة، أمَّا النصر الإلهي فهو الذي يقرر نتيجة الصراع لصالح المؤمنين، هذا كلُّه بالنسبة للفئتين المتقاتلتين.

وأمّا بالنسبة للفئة الثالثة، فهي فئة معقدة، شديدة التعقيد، سهلة الانزلاق إلى جانب الباطل مكشوفة للعدو، وهذه الخصائص تجعل هذه الفئة معرضة للانزلاق إلى جانب الباطل في كلّ حال.

وهؤلاء هم الذين يخاطبهم الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، فقد غمد هؤلاء سيوفهم في أيام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والإمام الحسن الزكي عليه السلام، وتخاذلوا عن نصرة الأمير عليه السلام في صفين، وعن نصرة الحسن الزكي عليه السلام بعد ذلك، حتى التجأ الإمام المجتبى سلام الله عليه لأن يهادن معاوية



للإبقاء على من تبقى من شيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

فلمَّا غمدوا سيوفهم عن نصرة الإمامين الهمامين عليهما السلام، سلها معاوية وبعده ولده يزيد لعنهما الله في وجه سيد الشهداء الحسين بن عليٍ عليهما السلام يوم عاشوراء.

ولم يطل الغمد بهذه السيوف، فإنَّ ساحة الصراع ترفض المتفرجين والمتخلفين، ومن لم يقف مع الحق في ساحة الصراع وآثر العافية على ضرّاء القتال لا بُدَّ أن يقف إلى جانب الباطل في وقت قريب، فإنَّ مواقف أنصار الحق ثابتة وحصينة لا ينال منها العدو، ومواقف المتخلفين سهلة الانزلاق إلى جانب العدو، ومكشوفة لهم يسهل لهم الوصول إليها، وإغراؤهم واستمالتهم إليهم أو إرهابهم وإرعابهم على مثل هذا الانقلاب إلى جهة الباطل.

ومن هنا نقول: إنّ مواقع الناس في ساحة الصراع تؤول إلى موقعين في النتيجة النهائية، إمَّا الوقوف إلى جانب الحق ولاءً وبراءةً، وإمَّا الوقوف إلى جانب الباطل من الولاء والبراءة، كذلك.

هؤلاء هم الذين يخاطبهم الإمام الحسين عليه السلام في ساحة كربلاء المقدسة، غمدوا سيوفهم عن أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من قبل، وهاهم يسلّون سيوفهم عليه اليوم في كربلاء الشهادة.

فيقول عليه السلام لهم: «سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ...»، والسيف: إشارة إلى القوة، وقد كان العرب قبل الإسلام أُمَّة معزولة في الصحراء عن العالم، ضعيفة، لا قوة لها، ولا سلطان، ولا مال، فمكنهم الإسلام من القوة والمال، وحملهم رسالة التوحيد، وفتح لهم مشارق الأرض ومغاربها، وجعلهم سادة وأئمة وحكاماً على وجه الأرض.

كما جاء في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام المشهورة في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله حينما خاطبت المهاجرين والأنصار بقولها: «...إيهاً بَنِي قِيلَةٍ، أَأُهْضَمُ تُرَاثَ أَبِي، وَأَنْتُمْ بِمَرْأى مِنّي وَمَسْمَعٍ، وَمُنْتَدَى وَمَجْمَعٍ؟ تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَة، وَتَشْمِلُكُمُ الْخِبْرَة، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّة، وَالأَدَاة وَالْقُوَّة، وَعِنْدَكُمُ السِّلاَحَ وَالْجُنَّة، تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةِ فَلاَ تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلاَ تُغِيثُونَ...». (بحار الأنوار:٤٣/١٤٨).

والشام كانت يومئذٍ مركزاً لهذا السلطان الذي جاء به الإسلام إلى العرب، وكانت تبسط نفوذها السياسي والعسكري على أجزاء واسعة من آسيا وإفريقيا.

فيقول المولى سيد الشهداء عليه السلام لهم في كربلاء يوم عاشوراء: «إِنَّ اللهَ هَدَاكُمْ بِجَدِّي مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَزَقَكُمْ بِهِ هَذَا السُّلْطَانَ الْوَاسِعِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، وَجَعَلَكُمْ أَئِمَّةً وَسَادَةً فِي الأَرْضِ بِهِ، فَهَذَا السُّلْطَانُ [السَّيْفُ] لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ... وَلكِنَّكُمْ تَخَاذَلْتُمْ مِنْ نُصْرَةِ أَبِي

وَأَخِي مِنْ قَبْلُ وَغَمَدْتُمْ سُيُوفَكُمْ عَنْ نُصْرَتِهِمْ، وَهَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ تُسِلُّونَ السَّيْفَ الَّذِي جَعَلَهُ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَيْمَانِكُمْ، بِوَجْهِ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ وَتُقَاتِلُونَ بِهِ. وَقَدْ كَانَ أَحْرَى بِكُمْ أَنْ تُقَاتِلُوا بِهَذَا السَّيْفِ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ مِنْ قَبْلُ إلى جَانِبِ أَبِي وَأَخِي، وَيَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ إلى جَانِبِي».

وقد جاء في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام ما هو دليل على هداية الناس برسول الله صلَّى الله عليه وآله فقالت عليها السلام: «... أَيُّهَا النَّاسُ، اعْلَمُوا أَنّي فَاطِمَة وَأَبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْواً، وَلاَ أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطاً، وَلاَ أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ شَطَطاً، لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِنْ تُعَزُّوهُ وَتَعْرِفُوهُ، تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنَ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ، وَلَنِعْمَ الْمُعَزَّى إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِالنِّذَارة، مَائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضَارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظَامِهِمْ، دَاعِياً إلى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنَامَ، وَيَنْكُتُ الْهَامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشِيظُ النِّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقَاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاَصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبِيْضِ الْخِمَاصِ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مِذْقَةُ الشَّارِبِ وَنُهْزَةُ الطَّامِعِ، وَقَبْسَةُ الْعَجْلاَنِ، وَمَوْطِئُ الأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ القِدَّ، أَذِلَّةً خَاسِئِينَ صَاغِرِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفُكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ بَعْدَ اللَّتَيَا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ، أَوْ نَجَمَ قَرَنِ الشَّيْطَانَ أَوْ فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلاَ يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبُهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللهِ، سَيِّداً فِي أَوْلِيَاءِ اللهِ، مُشَمِّراً نَاصِحاً، مُجِدّاً كَادِحاً، لاَ تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وادِعُونَ فَاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرَ، وَتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبَارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزَالِ، وَتَفِرُّونَ مِنَ الْقِتَالِ...».

وقال عليه السلام: «وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَاراً اقتدحناها عَلَى عَدُوِّنَا وَعَدُوِّكُمْ»

هذه العبارة يخبر فيها عليه السلام عن نار، لكنْ ما هي هذه النار التي يتحدث عنها المولى سيد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء؟ ومن اقتدحها؟ وأين اقتدحها؟

الجواب: الظاهر أنّ هذه النار هي انفجار النور الهائل في جزيرة العرب، وكانت تحمل إلى البشرية وهجاً ساطعاً أنـار قلوب الناس وعقولهم في الشرق والغرب، ودخل كلَّ بيت، وبهذا النور أذهب





الله عن الناس ظلمات الجاهلية، فتحول هذا النور إلى إيمان وإخلاص وعطاء ويقين، وقيم وتضحية، وصلاة، ودعاء، وإلى مدارس للعلم، ومساجد للعبادة، انتشرت على وجه الأرض، وإلى ثورات وحركات للمظلومين على الظالمين، كما أحرقت هذه النار عروش الطغاة والجبابرة في فارس والروم ومصر، وكسرت الأغلال والقيود من معاصم الناس وأقدامهم وأطلقتهم من أسر الظالمين.

واقتدح رسول الله صلَّى الله عليه وآله هذه النار في جزيرة العرب، ثم عمت الدنيا كلُّها، فلم يمض على هذه القدحة خمسون سنة، حتى كانت هذه النار تنير مشارق الأرض ومغاربها.

اقتدحها رسول الله صلَّى الله عليه وآله في هذا الوسط الجاهلي من جزيرة العرب، ولم ينتخب لهذه الدعوة طبقة معينة، وإنَّما فجَّر كوامن الفطرة والعقل في نفوس من استجاب منهم لهذه الدعوة، وجعل منهم قوة هائلة هزمت جيوش الفرس والروم وأطاحت بعروش كسرى وقيصر.

فكما أنَّ المهندس يستخرج من الصخرة المعتمة الباردة، النور والحرارة، وكما يستفاد من الخشب المعتم البارد، النور والحرارة، كذلك فجر رسول الإنسانية محمّد صلَّى الله عليه وآله كوامن الفطرة والعقل والضمير في نفوس هؤلاء الناس الخاملين في الجزيرة، فجعل منهم قمماً في الصلاح والتقوى والقوة والصمود والإيمان والخشوع، استطاعوا فيما بعد أنْ ينشروا هذه الدعوة على وجه الأرض، ويكونوا سادة وأئمة وقادة للبشرية، بعد أنْ كانوا منزوين عن الحضارات في رقعة صحراوية غير ذات زرع.

وقد ورد في خطبة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله حال الناس قبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقالت: «وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مِذْقَةُ الشَّارِبِ وَنَهْزَةُ الطَّامِعِ، وَقَبْسَةُ الْعَجْلاَنِ، وَمَوْطِئُ الأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ القِدَّ (والورق)، أَذِلَّةً خَاسِئِينَ صَاغِرِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفُكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ اللَّتَيَا وَالَّتِي».

لكنَّه، لم يمض على رحيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله الذي اقتدح هذه النار فيهم ليحرق بها عروش الظالمين، خمسون سنة، حتى حرق الناس بهذه النار بيوت آل رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فحرقوا بها باب عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، وحرقوا بها خيام الحسين عليه السلام في كربلاء الشهادة.

فأيُّ حق أضاعه هؤلاء الناس؟ وكيف ردّوا لرسول

الله صلّى الله عليه وآله الجميل؟ يا حسرة على العباد!!

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾. [الشورى/٢٣]

ذهب علماء الشيعة استناداً إلى الكثير من الأدلة والشواهد إلى أنّ المراد من القربى في الآية المذكورة هم أهل البيت عليهم السلام وأنّ أبرز مصاديقهم عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين والتسعة المعصومون من ذرية الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. (مجمع البيان، الطبرسي. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي).

قال العلامة الحلي آية المودة تدلُّ على إمامة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام ناقلاً عن ابن عباس قوله: (لمّا نزلت {قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً} قالوا: يا رسول الله صلّى الله عليه وآله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: «عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَوُلْدِهِمَا» - يعني الحسن والحسين عليهم السلام-). (نهج الحق:١٧٥. مجمع البيان، الطبرسي:٩/٤٣. تفسير القرطبي:٣/٢).

وسُئل الإمام السجاد عليٌّ بن الحسين بن عليٍّ عليهم السلام عن هذه الآية: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} فقال: «هِيَ قَرَابَتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه». (تفسير فرات الكوفي: ٣٩٢).

وعن أَبِي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} قال: «هُمُ الْأَئِمَّةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ». (الكافي الشريف: ١/٤١٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه طبّق الآية المباركة على أصحاب الكساء من أهل البيت عليهم السلام. (شواهد التنزيل، الحسكاني:٢/٢١٣).

والجدير بالذكر أنّ الحاكم الحسكاني من علماء العامّة ذكر في ذيل الآية المباركة سبع روايات تؤكد أنّ المراد من القربى عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. (شواهد التنزيل:٢/١٨٩).

[١٢] القرطبي، تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٢.

وقال عليه السلام: «فَأَصْبَحْتُمْ إِلَباً لأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ»

هذه هي الردّة الثانية، وهي أعظم من الأُولى، فقد تحدث عليه السلام عن الردّة الأُولى، عند قوله: «سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفاً لَنَا فِي أَيْمَانِكُمْ»، حيث تحولت السيوف من جانب أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى جانب أعداء أهل البيت عليهم السلام وخصومهم، وقد حددها الفرزدق عندما التقى الإمام الحسين عليه السلام عند خروجه من مكة في الطريق إلى العراق بشكل دقيق.

قَالَ الْفَرَزْدَقُ: لَقِيَنِي الْحُسَيْنُ عليه السّلام فِي مُنْصَرَفِي مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَالَ: «مَا وَرَاكَ يَا أَبَا فِرَاسٍ»؟ قُلْتُ: أَصْدُقُكَ؟ قَالَ عليه السلام: «الصِّدْقَ أُرِيدُ». قُلْتُ: أَمَّا الْقُلُوبُ فَمَعَكَ، وَأَمَّا السُّيُوفُ فَمَعَ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالنَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ. قَالَ عليه السلام: «مَا أَرَاكَ إِلَّا صَدَقْتَ، النَّاسُ عَبِيدُ الْمَالِ، وَالدِّينُ لَغْوٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ بِهِ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا لِلابْتِلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون». (بحار الأنوار: ٤٤/١٩٥).

وهو تشخيص دقيق للحالة النفسية والسياسية والاجتماعية للناس يومئذٍ، فقد كانت قلوبهم مع الحسين عليه السلام حتى ذلك الوقت، لكنَّ مواقفهم كانت لبني أُميّة، وهذه هي البداية، وهي الردة الأُولى.

مع أنّ الحالة السوية، هي أنْ تتوافق القلوب والسيوف في جانب الحق، فإذا تخالفت السيوف والقلوب، فتلك هي المحطة الأُولى للردّة.

والمحطة الثانية للردة، هي أن تتوافق القلوب والسيوف على عداء وقتال أهل البيت عليهم السلام، وهذا هو الذي يحدثنا عنه الإمام عليه السلام في هذه الفقرة: «فَأَصْبَحْتُمْ إِلَباً لأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ».

والإلب: القوم يجمعهم عداء واحد، ولكي يتضح المراد من هذه الفقرة بشكل أكبر، لا بُدَّ من توضيح هذه الكلمة، فنقول: إنَّ الأُمّة مجموعة من الناس يجمعهم ولاء واحد وبراءة واحدة، وهذا هو أسلم



وأدق تعبير للأُمّة.

وهذه الأُمّة يجمعها الولاء لله تعالى ولرسوله صلَّى الله عليه وآله ولأئمة المؤمنين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾. [المائدة/٥٥].

فمن يقبل بهذا الولاء، فهو من هذه الأُمّة، ومن يرفض هذا الولاء أو بعضها، فليس من هذه الأُمّة.

وتجمع هذه الأُمّة براءة من الطاغوت الذي أمرنا الله تعالى أنْ نكفر به، وبراءة من المشركين فمن تبرأ منهما دخل في هذه الأُمّـة، ومن لم يتبرأ منهما لم يدخل في هذه الأُمّة: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾. [النحل/٣٦].

فيقول عليه السلام في نهار عاشوراء الشهادة: «لَقَدْ كَانَتْ تَجْمَعُنَا بِكُمْ بَرَاءَة وَاحِدَة مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَعَدَاء وَاحِد لَهُمْ، وَوَلَاء وَاحِد لِأَوْلِيَاءِ اللهِ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمُ الْيَوْمَ إِلَباً لِأَعْدَائِكُمْ عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ».

يجمعكم بأعدائكم العداء لأوليائكم، بعكس ما يجب أنْ يكون تماماً، والحالة السوية أنْ يجمعكم بأوليائكم العداء لأعدائكم، وهذه ردّة كاملة بعد الردّة الأُولى، وهي المحطة الثانية من الردّة، وهو تعبير دقيق جـداً لحال الناس الذين خاطبهم الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء.

وهذا هو الانقلاب في بؤرتي (الحب والبغض) أو (الـولاء والبراءة) وهو أقصى درجات الردة في شخصية الإنسان.

وقال عليه السلام: «بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلاَ أَمَلَ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهَا»

أشار عليه السلام في هذا المقطع من خطبته الشريفة إلى أنّ القلوب قد تغيرت، فتحولت من الهدى إلى الضلال، ومن أولياء الله إلى أعدائه، وانقلبت من الولاء إلى البراءة، ومن البراءة إلى الـولاء، دون أنْ يتغير بنو أُميّة عمّا كانوا عليه: «بِغَيْرِ عَدْلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ».

ها هم بنو أُميّة يمارسون الظلم، كما كانوا يمارسونه من قبل وأمعنوا في الظلم والضلال، وأسرفوا على أنفسهم في ذلك أيّما إسراف، فلم يحدث انقلاب في واقع بني أُميّة، إنَّما الذي حدث ردّة في القلوب، من محور الولاء إلى البراءة، ومن محور البراءة إلى الولاء، فإنَّ هؤلاء الناس انقلبوا من ولاء أهل البيت عليهم السلام إلى ولاء بني أُميّة لعنهم الله، دون أنْ يتغير أهل البيت عليهم السلام عمّا كانوا عليه من الهدى والصلاح، أو يتغير بنو أُميّة لعنهم الله عمّا كانوا عليه من الضلال والظلم.

ولكنَّ الناس انقلبوا من البراءة من بني أُميّة إلى البراءة من أهل البيت عليهم السلام وقتالهم، ومن الولاء إلى أهل البيت عليهم السلام إلى الولاء لبني أُمية.

ولا أمل أصبح لكم فيهم، وكما لم يكن هذا الانقلاب بسبب حصول انقلاب في بني أُمية من الظلم إلى العدل، كذلك لم يكن بسبب أنَّ الناس أصبح لهم أمل في عدل بني أُمية بعد ذلك.

إذن لم ينخدع الناس ببني أُمية، عندما والوهم، وقاتلوا أعداءهم وخصومهم.

فإذا لم يكن الناس مخدوعين، فماذا جرى في نفوسهم حتى انقلبوا من آل رسول الله صلَّى الله عليه وآله إلى آل أُمية؟

إنّ الذي حدث هو أنَّ بني أُمية أذلوهم بالإرهاب والطمع، وفرق بين الخداع والإذلال، فإنَّ الذي ينخدع بعدوه، يُحِبُّ عدوه ويواليه ويحارب أعداءه خطأ، وهذا عجز في الوعي والمعرفة، وليس ذُلاً وعجزاً في الكرامة.

وأمَّا الذي يوالي عدوه ويعطيه سيفه وماله ثم يعيطه قلبه وحبّه وهو يعلم أنَّه له عدو، فهذا هو الذل بعينه وانعدام الكرامة.

وهذا لن يكون في أُمّة إلَّا بالإذلال، والإذلال قد يكون بالإرهاب والقوة، وقد يكون بالمال والذهب.

وقد استعمل الأُمويون كلا الأمرين، الإذلال بالقوة، والإرهاب والإذلال بالمال والسلطان، فأذلوا الناس.

نعم استعملوا التغرير والإعلام والخداع، إلَّا أنَّ إسرافهم في الظلم والترف والمعصية كان أظهر من أنْ يخفى على أحد.



كيف يستطيع الإمام الحسين عليه السلام أن يدفع عن شيعته البلاء ولم يدفع عنه نفسه القتل

* محمد يعقوب

بعد انتشار الوباء في البلدان التي فيها أضرحة أئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكانت دعوات إلى تعقيم الأماكن المقدسة بشكل دوري وبعض الدعوات إلى إغلاقها، وهذا ما أثار اعتراض أهل الولاية لأنَّهم يؤمنون بأنَّ هذه الأماكن المقدسة لا يمكن أنْ تنقل المرض لأنّ الزائر مأمون على نفسه من كلّ سوء وبلاء ومرض كما جاء عن أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين في أحاديث فضل زيارتهم، فكان من المقصرّة الأنجاس توجيه هذا السؤال للشيعة: كيف يستطيع الإمام أنْ يدفع عنكم البلاء وهو لم يدفع عن نفسه القتل! فأمير المؤمنين عليه السلام ضُرب على رأسه في محراب صلاته! والحسين عليه السلام ذُبح على رمضاء كربلاء على يد شمر بن ذي الجوشن عليه لعائن الله بعد أن صعد على صدر الإمام عليه السلام! والإمام الكاظم عليه السلام كان سجين الطامورة! وكذلك بقية الأئمة عليهم السلام وأصحابهم المخلصين رضوان الله تعالى عليهم عُذِّبوا وشُرِّدوا وقُتلّوا؟

هذه الشبهة التي أثارها الوهابية النواصب بداية ثمَّ استحسنها المقصرة واستعملوها بعد ذلك في وجه الشيعة والموالين لأهل البيت عليهم السلام لها ثلاثة أجوبة.

الجواب الأوّل

حثّ الإمام أبو جعفر الباقر صلوات الله عليه بقوله لحمران : «عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ يَتَوَلُّونَا وَيَجْعَلُونَا أَئِمَّةً وَيَصِفُونَ أَنَّ طَاعَتَنَا مُفْتَرَضَةٌ عَلَيْهِمْ كَطَاعَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ يُكْسِرُونَ



حُجَّتَهُمْ وَيَخْصِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفِ قُلُوبِهِمْ، فَيُنْقِصُونَا حَقَّنَا وَيُعِيبُونَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ بُرْهَانَ حَقِّ مَعْرِفَتِنَا وَالتَّسْلِيمِ لأَمْرِنَا، أَتَرَوْنَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى افْتَرَضَ طَاعَةَ أَوْلِيَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ يَخْفِي عَنْهُمْ أَخْبَارَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَقْطَعُ عَنْهُمْ مَوَادَ الْعِلْمِ فِيمَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِمَّا فِيهِ قِوَامُ دِينِهِمْ؟!».

فقال له حمران: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر قيام عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره، وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر صلوات الله عليه: «يَا حُمْرَانُ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَضَاهُ وَأَمْضَاهُ وَحَتَمَهُ عَلَى سَبِيلِ الاِخْتِيَارِ، ثُمَّ أَجْرَاهُ، فَبِتَقَدُّمِ عِلْمٍ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَامَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ، وَبِعِلْمٍ صَمَتَ مَنْ صَمَتَ مِنَّا، وَلَوْ أَنَّهُمْ يَا حُمْرَانُ حَيْثُ نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ مِنْ أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِظْهَارِ الطَّوَاغِيتِ عَلَيْهِمْ سَأَلُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي طَلَبِ إِزَالَةِ مُلْكِ الطَّوَاغِيتِ وَذِهَابِ مُلْكِهِمْ إِذاً لأَجَابَهُمْ وَدَفَعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، ثُمَّ كَانَ انْقِضَاءُ مُدَّةِ الطَّوَاغِيتِ وَذِهَابُ مُلْكِهِمْ أَسْرَعُ مِنْ سِلْكٍ مَنْظُومٍ انْقَطَعَ فَتَبَدَّدَ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ الَّذِي أَصَابَهُمْ يَا حُمْرَانُ لِذَنْبٍ اقْتَرَفُوهُ وَلاَ لِعُقُوبَةِ مَعْصِيَةٍ خَالَفُوا اللهَ فِيهَا، وَلَكِنَّ لِمَنَازِلَ وكَرَامَةٍ مِنَ اللهِ، أَرَادَ أَنْ يَبْلُغُوهَا، فَلاَ تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ فِيهِمْ». (الكافي الشريف: ١/٣١٠. الوافي للفيض الكاشاني: ٣/١٣١. بصائر الدرجات للصفار: ١٤٥. الخرائج والجرائح: ٢/٣٨٦. الدعوات للراوندي: ٣٩٧. عوالم العلوم، الإمام الحسين للبحراني: ١/٥٢١. الدرر النجفية: ١/٤١٢. مرآة العقول: ٣/١٣٧).

إنّ الإمــام من آل محمد صلوات الله عليهم حين أصابه ما أصابه من ظلم وقتل كان بإرادته ومشيئته وموافقته، ولو شاء غير ذلك لكان ما شاء بإذن الله، لكنّه أراد ما هو أرضى لله تعالى وأعلى درجة وأرقى مقاماً له صلوات الله عليه وهو تعرضه للظلم والتضحية والشهادة في سبيل الله.

رُوي أنّ الإمام الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال: «الْحَمْدُ للهِ وَمَا شَاءَ اللهُ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى رَسُولِهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلاَدَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، وَمَا أَوْلَهَنِي إِلَى أَسْلاَفِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ إِلَى يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لاَقِيهِ كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تَقَطَّعُهَا عُسْلاَنُ الْفَلَوَاتِ، بَيْنَ النَّوَاوِيسِ وَكَرْبَلاَءَ فَيَمْلأَنَّ مِنِّي أَكْرَاشاً جُوفاً، وَأَجْرِبَةً سُغْباً، لاَ مَحِيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلاَئِهِ وَيُوَفِّينَا أُجُورَ

الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لُحْمَتُهُ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَيُنَجَّزُ لَهُمْ وَعْدُهُ، مَنْ كَانَ بَاذِلاً فِينَا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلَى لِقَاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً، إِنْ شَاءَ اللهُ». (نزهة الناظر وتنبيه الخواطر:٨٦).

وقول أمير المؤمنين صلوات الله عليه في الليلة التي استشهد بها: «وَالله لاَ كَذِبْتُ وَلاَ كُذِّبْتُ، إِنَّهَا اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدَنِي بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ». وهو يكرر: «اللَّهُمَّ بَـارِكْ لِي فِي الْمَوْتِ». وحين ضربه ابن ملجم عليه لعائن الله على رأسه الشريف قال: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبِةِ».

وقـول رسـول الله لسيد الشهداء صلوات الله عليهما: «يَا بُنَيِّ إِنَّكَ قَادِمٌ عَلَى أَبِيكَ وَأُمِّكَ وَأَخِيكَ وَهُمْ مُشْتَاقُونَ إِلَيْكَ، وَإِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَاتٌ لاَ تَنَالُهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ».

وكذلك شيعتهم ومحبيهم فإنْ أُصيبوا بالبلاء والظلم والقتل فهو بإرادتهم واختيارهم ودعاءٍ منهم لله تعالى أنْ يرزقهم العذاب والقتل في الدنيا مواساةً لسادتهم آل محمد صلوات الله عليهم، ومن أراد منهم دفع البلاء عنه لدفع الله عنه كرامة لآل محمَّد صلوات الله عليهم.

الجواب الثاني

إنّ أهـل البيت صلوات الله عليهم ما عملوا بالإعجاز والولاية التكوينية مع أنّ بيدهم اسم الله الأعظم الذي يمكّنهم من تغيير الأحداث والوقائع، وذلـك لأنَّهم صلوات الله عليهم كانوا يعملون وفق الخطة الإلهية بـأنْ تجري الأُمـور بأسبابها لأجل امتحان الناس وإخبارهم، وغربلتهم ومعرفة عدوهم من ناصرهم، ومطيعهم من عاصيهم.

فقد ورد عن محمد بن سنان قال: بينما أمير المؤمنين صلوات الله عليه يجهز أصحابه إلى قتال معاوية إذ اختصم إليه اثنان، فلغى أحدهما في الكلام، فقال له: «اخْسَأ يَا كَلْبُ»، فعوى الرجل لوقته، فصار كلباً، فبهت من حوله، وجعل الرجل يشير بإصبعه إلى أمير المؤمنين ويتضرع، فنظر إليه فحرك شفتيه، فإذا هو بشر سوي، فقام إليه بعض أصحابه وقال له: مالك تجهز العسكر ولك مثل هذه القدرة؟ فقال صلوات الله عليه: «وَالَّذِي بَرَأَ النَّسْمَةَ، وَفَلَقَ الْحَبَّةَ، لَوْ شِئْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِرِجْلِي هَذِهِ الْقَصِيرَةَ فِي هَذِهِ الْفَلَوَاتِ حَتَّى أَضْرِبَ صَدْرَ مُعَاوِيَةَ فَأَقْلِبَهُ عَنْ سَرِيرِهِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنَّ {عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء/٢٧]. (مشارق أنوار اليقين: ١١٥. مستدرك سفينة البحار: ١٤٢/٩. بحار الأنوار: ٣٨٥/٣٢. مدينة المعاجز: ٣٩/٢).

الجواب الثالث

إنّ الأئمة صلوات الله عليهم تعرّضوا للظلم والأذى والتقتيل دفعاً عن شيعتهم ومحبيهم، وذوداً عنهم يوم القيامة، ووقايةً لهم من نار جهنم وهو ما ورد في الروايات الكثيرة والمتواترة منها:

ورد عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم صلوات الله عليه قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ غَضِبَ عَلَى الشِّيعَةِ فَخَيَّرَنِي نَفْسِي أَوْ هُمْ، فَوَقَيْتُهُمْ وَاللهِ بِنَفْسِي». (الكافي الشريف: ٣٠٨/١. الوافي للكاشاني: ١٢٧/٣. كشف الحقائق: ١٣٣. مدينة المعاجز: ٦. مرآة العقول:٣٣. مسند الإمام الكاظم: ١١٢).

وعن أبي عبد الله صلوات الله عليه قـال: «مَا بَكَى أَحَدٌ رَحْمَةً لَنَا وَلِمَا لَقِينَا إِلَّا رَحِمَهُ اللهُ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ الدَّمْعَةُ مِنْ عَيْنِهِ، فَإِذَا سَالَتْ دُمُوعَهُ عَلَى خَدِّهِ فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ دُمُوعِهِ سَقَطَتْ فِي جَهَّنَّمَ لَأَطْفَأَت حَرَّهَا حَتَّى لاَ يُوجَدُ لَهَا حَرٌّ، وَإِنَّ الْمُوجِعَ قَلْبَهُ لَنَا لَيَفْرَحُ يَوْمَ يَرَانَا عِنْدَ مَوْتِهِ فَرْحَةً لاَ تَزَالُ تِلْكَ الْفَرْحَةُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَـرِدَ عَلَيْنَا الْحَوْضَ». (كامل الزيارات: ٢٠٤. مكيال المكارم: ١٥٨/٢. وسائل الشيعة: ٥٠٨/١٤).

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: «مَنْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَلَوْ مِثْلَ جَنَاحِ الذُّبَابِ غَفَرَ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَـوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». (كامل الزيارات: ٢٠٧. المحاسن: ١٢٣/١. وسائل الشيعة: ٥٠١/١٤).

السيرة الاجتماعيــــة لأمـيـر الـمـؤمـنـين عـلـي عليه الـسـلام

*الدكتور رحيم علي صياح

إنَّ ديننا الحنيف، هو دين الأُخوَّة والتكافل والتعاضد؛ لذا لا غرو أنْ نجد هذا الاهتمام من رسول الله صلَّى الله عليه وآلـه ومـن أهـل بيته الـكـرام صـلـوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهذه الشريحة الضعيفة من المجتمع، ويمكن تقسيم الدعم المالي الذي قدمه أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام للشريحة الاجتماعية الفقيرة على قسمين هما: إعانات مالية، وتخصيص مورد مالي ثابت.

أوّلاً: الإعانات المالية

الإعانة لغة

الإعانة من العون، وهو الظهير على الآخر، واعتونوا واعتانوا، إذا عاون بعضهم بعضاً. والمعونة: الإعانة، ورجل معوان حسن المعونة، كثير المعونة للناس، واستعنت بفلان فأعانني وعاونني. (لسان العرب لابن منظور: ٢٨٢٨/٢).

الإعانة اصطلاحاً

أمّا في الاصطلاح فتعرف الإعانات بأنّها تلك الأموال التي تُنف بصورة نقدية وعينية، إلى فئات اجتماعية مخصّصة، أو إلى الهيئات العامة والخاصة، دون أنْ يرافق هذا الإنفاق أيٌّ مقابل من الجهة المستلمة للإعانات. (سياسة الإعانات عند أمير المؤمنين عليه

السلام لرضا صاحب:٢٠).

وعليه فالإعانات هي تلك الأموال التي تُنف داخل حدود المجتمع في مجالات مختلفة الغرض منها تنشيط الاقتصاد، وتحسين الأحـوال المعيشية للمجتمع، وتدعيم النظام والأمـن، وغيرها من الأهـداف التي تصبُّ في الصالح العام. (سياسة الإعانات عند أمير المؤمنين عليه السلام:٢١).

استخدم الإمـام علـيٌّ عليه السـلام سياسة الإعانات لدعم الطبقات الفقيرة التي تحتاج إلى عون الدولة ودعمها، مبيناً أهمية هذه المعونات في رفد هذه الطبقات بما تحتاج إليه في حياتها اليومية ممَّا يقوم بأودها ويسد رمقها، فضلاً عن الجانب المعنوي لهذه الإعانات، والتي تُشعر الفرد بأنّ هناك من يشعر بهمه ومشاكله، ويحنو عليه، ويربت على كتفه، ويشدُّ من أزره لمواجهة الصعاب.

في هذا الصدد كتب الإمـام عليٌّ عليه السلام إلى عامله على مصر يوصيه: «ثُمَّ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رَفْدهُمْ وَمَعُونَتُهِمْ، وَفِي اللهِ لِكُلٍّ سِعَةٍ، وَلِكُلٍّ عَلَى الوَالِي حَقٌّ بِقَدَرِ مَا يَصْلُحُهُ». (نهج البلاغة:٤٢٢).

والـذي نفهمه من هذا النص أنَّه عليه السلام يأمر عامله بإعانة المحتاجين من أهل الحاجة والمسكنة على ما فرض الله لكلِّ صنف في كتابه الكريم، ثمّ إنّ هذه المعونة ليست منّة أو تفضلاً من أحـد، وإنّما هي حقّ شرّعه الله تعالى لهذه الفئات، كما نستشف أنَّ مقدار المعونة ليس مـحـدداً بسقف معين، بـل يعطى كـلُّ فـرد بما يُصلح حاله، وهذه لفتةٌ اجتماعية واقتصادية غير مسبوقة، فإعطاء كلِّ فرد ما يصلح حاله، يعني تهيئة الأسباب المناسبة لهذا الفرد على مواجهة الحياة، وإعطاءه ليس ما يسدُّ رمقه وحسب، بل إعطاؤه كما يفهم من العبارة ما يمكنه من إصلاح حاله، أي ما يمكنه من إيجاد عمل يكتسب منه قوته وقوت عياله، ومن ثَمَّ الاعتماد على كسبه، والخروج من دائرة الفقر والمسكنة، وحفظ ماء وجهه من ذلِّ المسألة.

وهذه الإعانة بما تمثله من مواصفات يمكن أنْ نشبهها اليوم بالقروض التشغيلية التي تعطى للعاطلين عن العمل، إلَّا أنَّها في عهد الإمام عليه السلام تعطى بلا مقابل، ولا تسترد لبيت المال.

وكتب الإمام عليٌّ عليه السلام أيضاً إلى عامله قثم بن العباس ما نصه: «انْظُرْ إِلـى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ، فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ، مَصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفَاقِرِ وَالْخَلاَّتِ». (نهج البلاغة: ٤٤٨).

ومن المعلوم أنَّ الإمام عليه السلام قد فرض لكلِّ مولود في الإسلام نصيباً من مال الله، فقد أورد أبو عبيد (قاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)) عن رجل من خثعم: (قال: ولد لي ولد، فأتيت علياً فأثبته في مائة). أي فرض له مائة درهم حين ولادتـه، وفي رواية أُخرى لأبي عبيد أنَّ الإمام عليه السلام فرض مائة درهم للقيط، قال: (أتيت علياً بمنبوذ فأثبته في مائة). (كتاب الأموال:٢٥٠).

وعلى هذا فتلك الأمـوال التي أمر بها قثم بن العباس أنْ يصرفها إلى ذوي العيال والمجاعة، وأمره أنْ يصيب بها مواضع المفاقر والخلات، أي أنْ يتحرى عن ذوي العيال المحتاجين فعلاً للإعانة، وهذا نابع من حرص الإمام عليٍّ عليه السلام في أنْ توضع الأموال في مواضعها.

إذن: لا بُـدَّ أنّ تلك الأمـوال إعانات مالية كان الإمـام عليٌّ عليه السلام يقدمها لمن به حاجة ماسة، فربّما لا تكفي حصة الفرد من العطاء، أو لحدوث طارئ، أو لأيِّ سبب آخر؛ لذا نراه يوصي عامله بأنْ يصيب بهذه الأموال مواضع الفاقة، أو المفاقر ويسدَّ بها كلَّ خلل قد يظهر على المحتاج، فينكشف عوزه وفقره.

وفي نص آخر عن الإمام عليٍّ عليه السلام للفكر الإنساني لفتة إنسانية رائعة، وفكر اجتماعي خلاق من خلال نظرته الإنسانية إلى الفئات التي تستحق إعانة الدولة، ويصف هذه الفئات بوصف نبيل يتجلى فيه سمو أخلاقه، ورقة نفسه، فيوضح مصارف المعونة إلى من تصرف، فضلاً عمَّا ذكرنا من فئات، فيقول

واصفاً إياهم: «لَيْسَ لَهُمُ فِي الإِمَـارَةِ نَصِيبٌ، وَلاَ فِي العِمَارَةِ حَظٌّ، وَلاَ فِي التِّجَارَةِ مَالٌ، وَلاَ فِي الإِجَارَةِ مَعْرِفَةٌ، وَقَدْ فَرَضَ اللهُ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ مَا يَقُوتُهُمُ وَيَقُومُ بِهِم». (حقوق الإنسان للباحث سعد:٣٩١).

ثانياً: تخصيص مورد مالي ثابت

لم تقتصر السيرة الاجتماعية للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام على تقديم الإعانات المالية لضعاف الناس من المحتاجين، وأصحاب العيال، بل سعى لتكوين ما يشبه الشبكة الاجتماعية تحمي الفقير والمريض، والطفل اليتيم من العوز والفقر، وذلك بتخصيص مورد مال ثابت لهذه الفئات من موارد بيت المال، ومن غلات صوافي الإسلام، والحق أنّ إجراء الإمام عليّ عليه السلام هذا لم يسبقه إليه أحد بأنْ نظر هذه النظرة الإنسانية الراقية، لهذه الفئات، ووضع لها المعالجة العملية والعلمية في آن واحد، ولم يقصر الإمام عليٌّ عليه السلام نظره على صرف موارد مالية فقط لهذه الفئات المستحقة، وإنَّما أمر عامله باتخاذ ما يشبه اللجنة من أهل الصلاح والتقوى المعروفين بخشية الله تعالى، للنظر في أُمور هؤلاء، ورفعها الوالي ليتخذ ما يلزم بشأنها من الإجراءات.

فيوصي الإمـام عليٌّ عليه السلام عامله على مصر بقوله: «ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمُ، وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَأَهْلِ الْبُؤْسى وَالزمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفِظِ اللهَ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمُ، وَاجْعَلْ لَهُمُ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ صَوَافِي الإِسْلاَمَ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ للأَقْصَى مِنْهُمُ مَثَلُ الَّذِي لِلأَدْنَى، وَكُلُّ قَدِ اسْتَرْعَيْتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلُكَ عَنْهُمُ بطر، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمّ». (نهج البلاغة: ٤٢٩).

وفي هذا النّص تأكيد كبير على الاهتمام بهذه الشرائح الاجتماعية، قلّما نجد له مثيلاً في التاريخ، وهو بحق يعدُّ سبقاً للإمام عليٍّ عليه السلام على كلِّ اللوائح التي وضعت لضمان حقوق الإنسان، فالإمام يؤكد حق هذه الشرائح في العيش الكريم بقوله: «الله الله فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى» أي احفظ الله في هذه الطبقة التي لا حيلة لها في كسب العيش، وتحقيق الحياة الكريمة التي ينشدها الإسلام.

وهذه الطبقة شملت المحتاجين، والبؤساء، والمرضى، وغير القادرين على الكسب بالطرق الاعتيادية لعجزهم عن ذلك، فأمر الإمـام عليه السلام بتخصيص مورد مالي ثابت لهم من بيت مال المسلمين، ومن غلات صوافي الإسلام.

ولا أقصد بالثبات هنا ثبات كمية المال، وإنّما ثبات التخصيص من الموارد، فكمية الأموال تتغير تبعاً لواردات بيت المال، فقد تزيد أو تنقص لكنَّ ثبات التخصيص المالي لهم أمر مهم جداً، فقد أصبح للمحتاجين منذ هذا العهد مورد مالي مسمى لهم في بيت مال المسلمين، وغلات الصوافي.

إنّ هذا الإجراء الذي اتخذه الإمام عليه السلام يعدُّ مؤسسة مالية تختص بما يردُّ للدولة من أموال كريع أراضي الخراج، وجباية العشور وغيرها، وكانت تصرف هذه الموارد في المسلمين، ولم يشمل بالعطاء موالي المسلمين.

فيما قرر الإمام عليٌّ عليه السلام بعد أنْ ساوى في العطاء بين المسلمين، وفرض للموالي كما فرض للعرب بلا فرق أو تمييز، قرر أنّ في بيت المال حقًّا للمحتاجين من المرضى والمساكين، وأهـل البؤسى، ليقيهم العوز وشظف العيش، ويخرجهم من دائرة الفقر والحاجة، كما خصص لهذه الطبقة قسماً من واردات أراضي الصوافي، وهي أراضٍ كانت تعود ملكيتها للإمام يضعها حيث شاء بما يحقق النفع للمجتمع الإسلامي، ونجد من الضروري أنْ نلقي نظرة ولو بسيطة على أرض الصوافي لما يشوب هذا المصطلح من غموض.

تعرف الصوافي بأنَّها الأراضي التي لم يكن لها مالك عند الفتح، أي لم تكن في حوزة أحد من الناس، وكذلك الأراضي التي كانت لكسرى، وأراضي البريد، ومعابد النيران فهذه الأراضي وضعت تحت عنوان الصوافي تكون تحت تصرف الإمام يصنع فيها بحسب رأيه.

قال أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم (ت١٧٩هـ):

(أصفى عمر بن الخطاب أهل السواد عشرة أصناف، أرض من قتل في الحرب، وأرض من هرب، وكلّ أرض كانت لكسرى، وكلّ أرض كانت لأحد من أهله، وكلّ مغيض ماء، وكلّ دير بريد. قال: ونسيت أربع خصال كانت للأكاسرة، وكان خراج ما استصفاه عمر سبعة آلاف ألف). (الخراج في التراث الاقتصادي الإسلامي: ١٦٨).

وأورد يحيى بن آدم رواية مؤداها: (إنَّ عمر بن الخطاب أصفى كلَّ أرض كانت لكسرى أو لآل كسرى، أو رجل قتل في الحرب، أو رجل لحق بأهل الحرب، أو مغيض ماء، أو دير بريد، وخصلتين ذكرهما لم أحفظهما. وفي حديث قيس: والآجام، ومن كان كسرى أصفى أرضه). (الخراج:٤٥٢).

أمّا فقهاء الإمامية فيضعون هذه الأراضي تحت عنوان الأنفال التي خص الله بها رسوله صلَّى الله عليه وآله، ثم هي بعده للإمام القائم مقامه. (النهاية للطوسي:١٩٩. شرائع الإسلام للحلي:١/١٣٧. وسائل الشيعة:٩/٥٢٣).

وهذه الأنفال هي: (كلُّ أرض خربة قد باد أهلها عنها، وكلُّ أرض لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، أو يسلمونها بغير قتال، ورؤوس الجبال، وبطون الأودية، والآجام، والأرضون الموات التي لا أرباب لها، وصوافي الملوك وقطائعهم، ممّا كان في أيديهم من غير وجه الغصب، وميراث من لا وارث له). (النهاية للطوسي:١٩٩).

وبيّن أبو يوسف رأيه في الصوافي بقوله: (وذلك بمنزلة المال الذي لم يكن لأحد ولا في يد وارث، فللإمام العادل أنْ يجيز منه ويعطي من كان له غناء في الإسلام، ويضع ذلك موضعه ولا يحابي به، فكذلك هذه الأرض). (الخراج: ١٦٨).

من هذا نرى أنّ الصوافي مساحات واسعة من الأراضي التي في معظمها خصبة، لأنّها في أغلبها كانت تخص الأُسرة الحاكمة، والمؤسسات الحكومية، والدولة الإسلامية إبان الفتح الإسلامي للعراق قد استصفت هذه الأنواع، أي كلّ ما كان يعود لكسرى، وأهله، ومعابد النيران، وأوقاف البريد، وأرض من مات ولا وارث له، والبطائح، وقد بلغ واردها في عهد عمر بن الخطاب كما أورد ذلك أبو يوسف في رواية

(سبعة آلاف ألف).

أمّا في زمن عثمان بن عفان، وكما يذكر قدامة بن جعفر (أبو الفرج الكاتب (ت٣٣٧هـ)) أنّه: (رأى أنّ عمارة ذلك أردّ على المسلمين من تعطيله، فأعطاه من رأى إياه ليعمروه، ويؤدوا ما يجب للمسلين فيه). (الخراج وصناعة الكتابة لمحمد حسين الزبيدي:٢١٧).

وذكر الطبري أنّ عثمان باع قسماً من أراضي الصوافي، وأبدل بأراضي الصحابة في الحجاز واليمن الأراضي الخصبة من أراضي الصوافي في العراق.

ورأى أحد الباحثين أنّ من نتائج سياسة عثمان في أراضي الصوافي أنْ ظهرت ارستقراطية عربية مالكة للأراضي إذ قال: (وعلى أثر هذا القرار برز آل طلحة بن عبيد الله، أصحاب أموال وضياع في الحجاز والكوفة حتى سنة (١٢١هـ)، وآل الأشعث مالكي القرى في الكوفة أيام عبد الملك بن مروان، فكان ذلك نواة ارستقراطية عربية مالكة للأراضي في السواد شبيهة بالدهاقين المحليين، وبدأ صراع خفي يظهر بالتدريج أيام عثمان بين القائلين إنّ الصوافي ملك مشترك للمقاتلة يديرها أُمراء يتفق عليهم، وبين القائلين إنّ الصوافي ملك للإمام (الخليفة)). (الخراج منذ الفتح الإسلامي:٣٠٣).

وبعد أنْ أمر الإمام عليٌّ عليه السلام عامله على مصر، بأنْ يخصّص قسماً من أموال بيت المال، وغلات الصوافي للفقراء والمحتاجين، يأمره بأنْ يختار من يثق بهم من الموظفين من أهل التقوى والخشية للاضطلاع بمهمة رفع حوائج هذه الشريحة، وتحقيق ما تصبو إليه من العدالة والكرامة.

ويوصي الإمام عليه السلام بضرورة الاهتمام بهذه الشريحة، وإشعارها برعاية الدولة وحرصها في المحافظة على كرامتها، وتوفير العيش الكريم لها بقوله: (فَلاَ تُشْخِص هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلَ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْتَقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَل فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذَرْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ». (نهج البلاغة:٤٢٩).

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام هنا يوصّي عامله بتفقد أُمور هذه الشريحة، ولاسيّما الذين لا يستطيعون الوصول إلى المسؤولين ممَّن تقحمه العيون، وتحتقره الرجال، فيطردون من على الأبواب، فواجب الوالي تفقد أُمورهم بنفسه، والنزول إلى الشارع للاطلاع على أحوالهم، كما أمره عليه السلام بأنْ يفرّغ واليه لمهمة الارتقاء بهذه الشريحة، والاطلاع على أحوالها، وإيصال حقوقها ثقته من عماله، من أهل الخشية والتواضع.

والأمر هنا يشبه تشكيل هيئة، أو لجنة لمتابعة أحوال هذه الشريحة، وهذه الهيئة حدد الإمام عليه السلام مواصفات أعضائها:

١. الثقة.

٢. الخشية لله تعالى.

٣. التواضع.

ولكلٍّ من هذه الصفات أهميتها في رفع الحيف عن هذه الشريحة، ومن ثَمَّ إيصال أصوات هؤلاء المساكين إلى الوالي.

فالثقة توجب على من يتصف بها أنْ لا يخون الأمانة، وأنْ يوصل ما يتوصل إليه من نتائج بكلِّ ثقة ودقة.

والخشية لله تعالى توجب على صاحبها أنْ لا يظلم حقوق هذه الشريحة، ولا يهمل أمرها، ومتطلباتها، بل يسعى لرفع الحيف عنها.

أمَّا التواضع فهذه الصفة تجعل من يتحلى بها لا يأنف من الجلوس لهؤلاء، ولا يتململ من كثرة شكواهم، ولا يزجر من يأتيه منهم.

وبذلك تكون كلُّ أُمورهم بحلوها ومرّها في تصور الوالي، أو المسؤول، أي يصبح لدى هذا الوالي التصور الكامل لما تعانيه هذه الشريحة، وفي ضوء هذا التصور يضع الحلول المناسبة للخروج بهذه الشريحة إلى برّس الأمان.

الاهتمام بالأيتام في خلافة أمير المؤمنين علـــي عليه السـلام

*الشيخ حسن عبد الأمير

اليتيم لغةً

اليتيم في اللغة: مأخوذ من اليتم، وهو الانفراد والغفلة، والإبطاء، وسمي اليتيم بذلك لانفراده عن أبيه، أو للتغافل عن بره، أو لإبطاء البر عنه.

ويطلق على الآدميين على من فقد أباه، ولم يبلغ الحلم، وفي البهائم على من فقد أُمَّه، وفي الطير على من فقدهما، فاليتيم في اللغة: الولد ابناً كان أو بنتاً الذي فقد أباه.

أمَّا في الشرع والعرف فيطلق على الذي فقد أباه، ولم يبلغ الحلم.

تضمن القرآن الكريم الكثير من الآيات التي أشارت إلى اليتيم وضرورة الاهتمام به، وحفظ أمواله، والإحسان إليه ، فأوصى الله تعالى بمن له مال منهم، وحرم الاعتداء عليه، وحرم أكل ماله من غير وجه حق، وأوجب دفع أمواله إليه إذا رشد، وأمَّا من لا مال له منهم فقد أوصى به خيراً على العموم، وبين أنَّه أحق من ينفق عليه، وجعل له نصيباً مفروضاً في أموال المسلمين، ومدح المحسنين إليهم. (التأمين الاجتماعي لآل محمود: ١٧٠).

وقال تعالى: ﴿ آتوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾. [النساء/٢]

وقال عزَّ من قائل أيضاً: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾. [البقرة/٢١٥]

وقال تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾. [الأنفال/٤١]

وأولى رسول الله صلَّى الله عليه وآله اليتيم عناية فائقة، وأبرز أجر كافل اليتيم ومكانته، كما أنَّه شدد على حرمة أكل مال اليتيم.

وعلى هدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله سار الإمام عليٌّ عليه السلام؛ لذا كان لليتيم في عهد عليٍّ عليه السلام مكانه اللائق من الاهتمام، فيوصي به عامله بقوله: «وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ، وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسُهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوِلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَافِيَةَ، فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعِدِ اللهِ لَهُمْ». (نهج البلاغة:٤٣٠).

فكان الإمام عليه السلام يجود بنفسه مودعاً هذه الدنيا، فيوصي ولده وأهل بيته، وكلَّ من وصله كتاب الإمام عليه السلام بقوله: «الله اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تَغْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ». (نهج البلاغة: ٤١٢).





الصحة في أحاديث الإمام الصادق عليه السلام

*الشيخ عبدالله اليوسف

من مفاتيح جودة الحياة الحفاظ على الصحة العامة للإنسان، والوقاية من الأمراض المختلفة، وذلك لأهمية الصحة في حياة الإنسان نفسه، ومسار المجتمع الإنساني، وكما أنّ المرء الذي يتمتع بصحة عالية يشعر بالسعادة، ويمتلك القدرة على العمل والعطاء والإنجاز والنشاط، بينما من تفتك به الأمراض والأسقام المزمنة يفقد - غالباً - القدرة على ذلك؛ كذلك حال المجتمعات من حيث الصحة والمرض، والعافية والوباء؛ حيث تعاني المجتمعات المصابة بالأوبئة وكثرة الأمراض المزمنة من تأخر في التنمية، وكساد في الاقتصاد، وتأخر عن ركب التقدم والازدهار.

وبالصحة والعافية يشعر الإنسان بمتعة الحياة، ويستمتع بجمالها، ويمارس حياته بصورة طبيعية، وهي نعمة إلهية يجب أنْ تقابل بالشكر؛ فالنعم إنَّما تدوم بالشكر، وتزول بالجحود، وكما قال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: «لاَ تَدُومُ النِّعَمُ إِلَّا بَعْدَ ثَلاثٍ - أَوْ قَالَ إِلَّا بِثَلاَثٍ -: مَعْرِفَةٌ بِمَا يَلْزَمُ للهِ سُبْحَانَهُ فِيهَا، وَأَدَاءُ شُكْرِهَا، وَالتَّعَبُ فِيهَا». (تحف العقول: ٣١٨)

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «أحْسِنُوا جِوارَ النِّعَمِ، واحْذَرُوا أَنْ تَنتَقِلَ عَنْكُمُ إِلَى غَيْرِكُمْ، أَمَا إِنَّهَا لَمْ تَنتَقِلْ عَنْ أَحَدٍ قَطٌّ فَكَادَتْ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيهِ». (أمالي الطوسي: ٢٤٦/)

والصحة أفضل نعمة كما قال أمير المؤمنين الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «الصِّحَّةُ أَفْضَلُ النِّعَمِ». (غرر الحكم: ١٠٥٠)

لأنّ كثيراً من النعم الأُخرى ترتبط بها وجوداً وعدماً.

وكثير من الأصحاء قد لا يشعرون بهذه النعمة العظيمة إلَّا عندما يفقدونها، وكما قال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: «العَافِيَةُ نِعْمَةٌ خَفِيَّةٌ، إِذَا وُجِدَتْ نُسِيَتْ، وَإِذَا فُقِدَتْ ذُكِرَتْ». (من لا يحضره الفقيه: ٤٠٦/٤ح٥٨٧٨).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «كَمْ مِنْ مُنَعَّمٍ

عَلَيْهِ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ!». (الخصال: ٢٢٣/٥١).

وعلى الإنسان العاقل ألَّا يفرِّط في صحته، لأنَّ من يفرِّط فيها تتنغص حياته، وتتكدر معيشته، ويفقد الكثير من السعادة والمتعة والطمأنينة والراحة، قال الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: «النَّعِيمُ فِي الدُّنْيَا الأَمْنُ وَصِحَّةُ الْجِسْمِ، وَتَمَامُ النِّعْمَةِ فِي الآخِرَةِ دُخُولُ الْجَنَّةِ». (معاني الأخبار: ٤٠٨/٨٧).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «خَمْسُ خِصَالٍ مَنْ فَقَدَ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً لَمْ يَزَلْ نَاقِصَ الْعَيْشِ، زَائِلَ العَقْلِ، مَشْغُولَ الْقَلْبِ: فَأَوْلاَهَا صِحَّةُ الْبَدَنِ». (بحار الأنوار: ٧٨/١٧١/ح٤).

وكما يجب على الأفراد المحافظة على صحتهم، واتباع سبل ووسائل الوقاية للاحتراز من الأمراض بكلّ أنواعها، وخصوصاً الأمراض الوبائية والمعدية، كما هو الحال مع (جائحة كورونا) التي حولت حياة المجتمعات البشرية في العالم كلّه إلى توقف شبه كامل في مفاصل الحياة العامة، وأثرت على الاقتصاد والأعمال والسياحة ومختلف جوانب الحياة وأبعادها.

الصحة والوقاية في حديث الإمام الصادق عليه السلام

عندما نتصفح تراث سيرة الإمام الصادق عليه السلام نجد كمّاً كبيراً من التوصيات والإرشادات الصحية والوقائية التي تدعو في مجملها إلى الحفاظ على سلامة الإنسان من الأمراض، والتمتع بصحة الأبدان والنفوس والعقول، ونكتفي هنا بالإشارة إلى بعضٍ منها في النقاط الآتية:

أوّلاً: غسل اليدين

اليدان من أكثر الأعضاء ملامسة للأشياء، وغسلها بالماء من أهم الوسائل التي ينصح بها الأطباء للوقاية من الميكروبات والفيروسات، ومنه (فيروس كورونا)، وقد حثّت التعاليم الدينية على غسل اليدين قبل الأكل وبعده، وأنّ ذلك من المستحبات وآداب المائدة، لجملة من الأخبار، ومنها:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «مَنْ غَسَلَ يَدَهُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ بُورِكَ لَهُ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَعَاشَ مَا عَاشَ فِي سَعَةٍ، وَعُوفِيَ مِنْ بَلْوَى فِي جَسَدِهِ». (بحار الأنوار: ٦٣/٣٦٢/ح٣٨).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «اغْسِلُوا أَيْدِيَكُمْ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ، فَإِنَّهُ يَنْفِي الْفَقْرَ، وَيَزِيدُ فِي الْعُمُرِ». (المحاسن: ٤٢٥).



إنّ المداومة على هذا المستحب يؤدّي إلى نظافة اليدين، وهو شرط لحماية الإنسان ووقايته من الإصابة بالأمراض المضرة بصحة الإنسان، وهذا ما حثّ عليه الإمام الصادق عليه السلام عبر تعاليمه وتوصياته على غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

ثانياً: العناية بالنظافة العامة للجسم

كثيرة هي التوجيهات والتوصيات والإرشادات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام والتي تحث الإنسان على الاهتمام بالنظافة العامة للجسم، كالاستحمام بالماء، وقص شعر الرأس واللحية، وحلق الشعر غير المرغوب فيه في الجسم كلّه، وتمشيط شعر الرأس، والحث على التنظف والتطيب والتزين.

فقد روى الصدوق عن الإمام الصّادِق عليه السلام أنَّه قال: «أَرْبَعٌ مِنْ أَخْلاَقِ الأَنْبِيَاءِ: التَّطَيُّبُ،

وَالتَّنْظِيفُ بِالْمُوسَى، وَحَلْقُ الْجَسَدِ بِالنُّورَةِ، وَكَثْرَةُ الطَّرُوقَةِ». (وسائل الشيعة: ٢/١٠٧ح١٦٣٠).

ويستحب ترجيل شعر الرأس واللحية بالمشط، ومن فوائده أنَّه يمنع الوباء، فقد روى الكليني بسنده: عن سُفْيَانَ بْنِ السِّمْطِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: «الْمَشْطُ لِلرَّأْسِ يَذْهَبُ بِالْوَبَاءِ». قَالَ قُلْتُ: وَمَا الْوَبَاءُ؟ قَالَ: «الْحُمَّى، وَالْمَشْطُ لِلِّحْيَةِ يَشُدُّ الأَضْرَاسَ». (الكافي الشريف: ٦/٤٨٨ح١. وسائل الشيعة: ٢/١١٩ح١٦٦٥).

والمراد من الوباء في الحديث ما يشمل جملة من الأمراض التي تصيب الشعر نتيجة عدم النظافة والعناية به، ولا يقتصر على الوباء بالمعنى الخاص عند الأطباء.

ويستحب تقليم الأظفار من اليد والرجل ويكره تركه، لأنَّه يمنع الداء ويدر الرزق، ففي صحيح الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله: «تَقْلِيمُ الأَظْفَارِ يَمْنَعُ الدَّاءَ الأَعْظَمَ وَيُدِرُّ - يزيد - الرِّزْقَ». (الكافي الشريف: ٦/٤٩٠ح١. وسائل الشيعة: ٢/١٣١ح١٧١١).

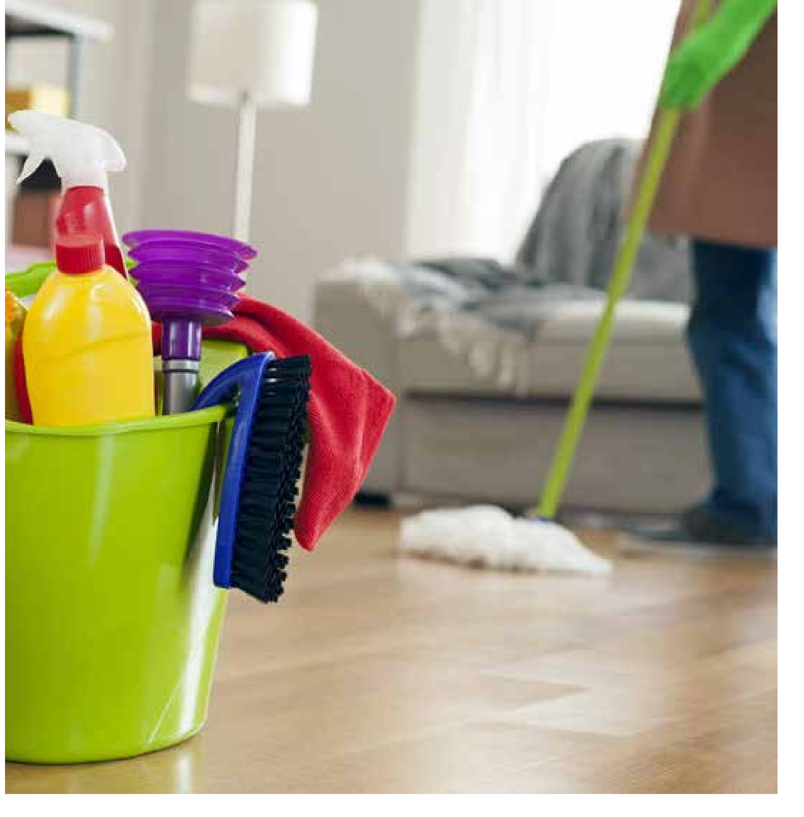
وهذه الإرشادات والتوجيهات العامة المروية عن الإمام الصادق عليه السلام ترشدنا إلى أهمية العناية بالنظافة العامة للجسم، لأنَّها من أهم الوسائل للحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض والأوبئة، إضافة إلى أنَّها ترمز إلى التزين والتنظف المحثوث عليه شرعاً وعقلاً.

فقد روي عن رسول اللهِ صلى الله عليه وآله أنه قال: «النَّظَافَةُ مِنَ الإِيمَانِ». (مستدرك الوسائل: ١٦/٣١٩ح٢٠٠١٦).

حيث يكون الإنسان غير النظيف مصدراً للقذارة والنجاسة والوباء والمرض.

ثالثاً: تنظيف الدار

الاهتمام بالنظافة العامة في كلِّ شيء من الأُمور التي حثّ عليها الإمام الصادق عليه السلام، ومن المعلوم أنّ كثيراً من الأمراض والأوبئة تنتقل بسبب انعدام النظافة العامة، وتعدُّ الدار (المنزل) من الأماكن المهمة التي يجب أنْ تحظى بالنظافة والتنظيف الدائم، وإزالة أية منفرات للبيئة الصحية، فأكثر الوقت نقضيه في منازلنا، ونظافتها دليل على رقي أصحابها؛ ولذا نجد أنَّ من توجيهات الإمام الصادق عليه السلام الاهتمام بتنظيف الدار وغسل أواني الطبخ والأكل.



فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: «غَسْلُ الإِنَاءِ وَكَسْحُ الفِنَاءِ، مَجْلَبَةٌ لِلرِّزْقِ». (الخصال: ٥٤/٧٣).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «اكْنُسُوا أَفْنِيَتَكُمْ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ». (وسائل الشيعة: ٥/٣١٧/ح٦٦٥٧).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «كَنْسُ البُيُوتِ يَنْفِي الفَقرَ». (وسائل الشيعة: ٥/٣١٧ح٦٦٥٨).

وفي المقابل ورد النهي عن ترك القمامة في البيت طول الليل، والحث على إخراجها قبل المغرب.

فقد روى عن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام فِي حَدِيثِ الْمَنَاهِي قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لاَ تُبَيِّتُوا الْقُمَامَةَ فِي

بُيُوتِكُمْ، وَأَخْرِجُوهَا نَهَاراً؛ فَإِنَّهَا مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ». (وسائل الشيعة: ٥/٣١٨ح٦٦٦٣).

فترك القمامة طول الليل في البيت قد يؤدي إلى نشر روائح كريهة أو أمراض معدية أو تجمع لحشرات مؤذية.

رابعاً: حفظ الطعام

نظافة الطعام والمحافظة عليه من الملوثات أمر في غاية الأهمية للحفاظ على الصحة، إذ إنّ كثيراً من الأمراض تنتشر من خلال الأكل والطعام غير النظيف؛ ولذا يرشدنا الإمام الصادق عليه السلام في توجيهاته الصحية إلى تغطية الطعام حتى لا يلوث بأيّ نوع من الملوثات الضارة.

فقد روي عنه عليه السلام أنّه قال: «لاَ تَدَعُوا آنِيَتَكُمْ بِغَيْرِ غِطَاءٍ؛ فإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا لَمْ تُغَطَّ الآنِيَةُ بَزَقَ فِيها، وَأَخَذَ مِمَّا فِيهَا مَا شَاءَ». (وسائل الشيعة: ٥/٣٢٤ح٦٦٨١).



وأمّا تركه من غير غطاء فيجعله عرضة لمختلف الملوثات والأوبئة والفيروسات التي ستجد طريقها لجسم الإنسان من خلال معدته، وهي بيت الداء.

وتشير بعض الدراسات إلى أنّ كثيراً من الأمراض المرتبطة بالجهاز الهضمي ناتجة من الأكل من المطاعم التي لا تعتني بالنظافة والاشتراطات الصحية المطلوبة، وعليه ينبغي الاهتمام بالأكل النظيف والصحي، وتجنب الأكل من المطاعم التي لا تهتم بنظافة الطعام ونظافة العاملين فيه.

خامساً: تجنب الاختلاط بأصحاب الأمراض المعدية

من أهم وسائل الوقاية من الأمراض المعدية عدم الاختلاط بالمرضى منهم، والفرار منهم كما ورد في الحديث المروي عن الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أنّه قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ»، وأضاف عليه السلام: «وَكَرِهَ أَنْ يُكَلِّمَ الرَّجُلُ مَجْذُوماً إِلَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَدْرُ ذِرَاعٍ». (وسائل الشيعة: ١٥/٣٤٥ح٢٠٧٠٠).

والجُذَام: داء يصيب الجلد والأعصاب الطَّرفية، يسبب فقداً بقعيًّا، وقد تتساقط منه الأطراف كما في كتب المعاجم اللغوية، وهو مرض معدٍ.

ولذا ورد الحث على عدم الاختلاط بالمجذومين، حتى لا يعرض الإنسان نفسه للإصابة به، وهذا الأمر يتعدى إلى غيره من الأمراض المعدية كفيروس (كورونا) لعموم التعليل.

وقد روي عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنّه قال: «أَقِلُّوا مِنَ النَّظَرِ إِلَى أَهْلِ الْبَلاَءِ وَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، وَإِذَا مَرَرْتُمْ بِهِمْ فَأَسْرِعُوا الْمَشْيَ لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ». (بحار الأنوار: ٥٩/٢١٣ح٩).

وفي هذا أيضاً إشارة مهمة إلى ضرورة التباعد عن المصابين بالأمراض المعدية تجنباً من الإصابة ممَّا أصابهم، مع الدعاء للمرضى بالصحة والسلامة والعافية.

وعلى المؤمن أنْ يداوم على التحميد لله سبحانه على نعمة الصحة والعافية، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَحْمَدُ اللهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلاَثَمِئَةِ مَرَّةٍ وَسِتِّينَ مَرَّةً عَدَدَ عُرُوقِ الْجَسَدِ، يَقولُ: «الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيراً عَلَى كُلِّ حَالٍ». (الكافي الشريف: ٢/٥٠٢ح٣. مكارم الأخلاق: ٢/٧٧ح٢١٩١. بحار الأنوار: ٥٨/٣١٦ح٢٤).



حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله تعالى عليه نظرة في سيرته العطرة

تحقيق: السيد علي القصير

صفاته رضوان الله عليه

لازم حبيب بن مظاهر الأسدي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونهل من علمه، وأدبه، وحلمه، وشجاعته، حتى صار ممَّن يشار لهم بالبنان، وكانت أخلاقه، وصفاته، التي لم ينفك عنها، هي الـدروس التربوية التي زخر بها أمير المؤمنين عليه السلام عليه بها، ضمن الفترة التي عاش فيها بقربه، في سلمه وحربه، وكانت إفاضات النبع العلوي، بنوريته، في قلب حبيب بن مظاهر الأسدي، أنتجت منه: (السخاء، والكرم، والشجاعة، والوفاء بالوعد والعهد، والإيثار، والحلم، والصبر، والثبات عند الهزائز، والإبـاء، والصدق، وحسن النية) وغير ذلك من الصفات والفضائل الحميدة).

وقد أثبت للعالم إبـاءه، فما نام على المذلة والهوان، فتلقى السيوف والرماح والسهام بنحره الشريف، وبصدره الطاهر، وهو في غاية الفرح والسرور، دفاعاً عن كتاب الله القرآن الكريم، وعن القرآن الناطق الإمام الحسين عليه السلام.

فكان حبيب بن مظاهر رضوان الله تعالى عليه ممَّن أخلص في جهاده مع أبي عبد الله الحسين عليه الـسـلام، وكـان أشدهم مـواسـاة له عليه السلام. (القمر الزاهر للكربلائي:١١).

وهو ذو شيمة وغيرة، كما ورد بنص كتاب الإمام الحسين عليه السلام له حيث قال: «مِنَ الْحُسَيْنِ

بنِ عَليٍّ إلى الرَّجُلِ الْفَقِيهِ حَبِيبِ بْنِ مَظَاهِرٍ أَمَّا بَعْدُ يَا حَبِيبُ فَأَنْتَ تَعْلَمُ قَرَابَتَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ وَأَنْتَ أَعْرَفُ بِنَا مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ ذُو شِيمَةٍ وَغَيْرَةٍ فَلاَ تَبْخَلَ عَلَيْنَا بِنَفْسِكَ يُجَازِيكَ جَدّي رَسُولُ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». (القمر الزاهر:٢١).

وكان فاضلاً، قال فيه الإمام الحسين عليه السلام: «للهِ دَرُّكَ يَا حَبِيبُ كُنْتَ فَاضِلاً تَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ). (منتهى الآمال: ٥٠٦/١).

ولقد مزح حبيب بن مظاهر الأسدي (يوم عاشوراء)، فقال له برير بن خضير الهمداني، وكان يقال له: سيد القراء: يا أخي ليس هذه بساعة ضحك، قال: فأيُّ موضع أحق من هذا بالسرور، والله ما هو إلَّا أن تميل علينا هذه الطغام بسيوفهم فنعانق الحور العين. (عوالم العلوم، الإمام الحسين عليه السلام:٣٣٤).

وكان يتصف بصفتين الظاهرية والروحية، أمَّا الروحية طاعة الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله، وكثرة طاعته لأهل بيت النبوة عليهم السلام، ويتصف بكثرة تلاوة القرآن.

ومن صفاته اليقين، والنجدة، والشهامة، والغيرة، إضافة إلى ذلك الفقاهة في الدين. (القمر الزاهر:٨).

شمائله رضوان الله عليه

إنّ جمال حبيب بن مظاهر الأسدي، العربي، مقرون بالهيبة، والوقار، وكلِّ ما يميز الرجل العابد، والفارس الشجاع، عن غيره.

قال ميثم التمار لحبيب بن مظاهر الأسدي، وهو يخبره عن مصرعه: (إنّي لأعرف رجلاً أحمر، له ضفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيه، فيُقتل، ويجال برأسه بالكوفة). (معجم رجال الحديث للخوئي:٢٠٢/٥)

وقال السيد محسن الأمين: في مجالس المؤمنين، عن روضة الشهداء: (حبيب رجل ذو جمال وكمال). (أعيان الشيعة:٥٥٤/٤)

علمه رضوان الله عليه

حاز حبيب أنواع العلوم، مع حفظه للقرآن الكريم وفقاهته، فلقد كان أحد الذين خصّهم أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليهما السلام بعلم المنايا والبلايا، وغيرها من العلوم التي لا يطلع عليها إلَّا من امتحن الله قلبه للإيمان، وهذه نماذج عن علم حبيب بن مظاهر الأسدي:

حبيب بن مظاهر يخبر ميثم التمار بمصرعه

عن جبريل بن أحمد، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مهران، قال: حدثني أحمد بن النضر، عن عبد الله بن يزيد الأسدي، عن فضيل بن الزبير، قال: (مرَّ ميثم التمار على فرس له، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي، عند مجلس بني أسد، فتحدثا حتى اختلفت أعناق فرسيهما، ثمَّ قال حبيب: لكأنّي بشيخٍ أصلع، ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صُلب في حبِّ أهل بيت نبيه عليهم السلام، يبقر بطنه على الخشبة! فقال ميثم: وإنّي لأعرف رجلاً أحمر، له ضفيرتان، يخرج لنصرة ابن بنت نبيه، فيقتل، ويجال برأسه بالكوفة، ثم افترقا فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين! قال: فلم يفترق أهل المجلس، حتى أقبل رشيد الهجري، فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً ونسي، ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم، ثم أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم. فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي، حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر، قد قتل مع الحسين عليه السلام، ورأينا كلَّ ما قالوا). (معجم رجال الحديث للخوئي:٢٠٢/٥).

حبيب بن مظاهر يخبر بمصرعه

قال حبيب بن مظاهر لمسلم بن عوسجة، بعدما وقع صريعاً يوم عاشوراء، ومشى إليه مع الإمام الحسين عليه السلام: لولا أنّي أعلم إنّي في الأثر من ساعتي هذه لأحببت أنْ توصيني بكلّ ما أهمّك، فقال له مسلم فإنّي أوصيك بهذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام، فقاتلْ دونه حتى تموت، فقال له حبيب: لأنعمنّك عيناً، ثم مات). (لواعج الأشجان للأمين:١٥٣).

حبيب بن مظاهر محدّثاً

روى عن الإمام الحسين عليه السلام.

عن حبيب بن مظاهر الأسدي بيّض الله وجهه، أنّه قال للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام: أيّ شيء كنتم قبل أنْ يخلق الله عزَّ وجلَّ آدم عليه السلام؟ قال عليه السلام: «كُنَّا أَشْبَاحَ نُورٍ، تَدُورُ حَوْلَ عَرْشِ الرَّحْمنِ، فَنُعَلِّمُ الْمَلاَئِكَةَ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ). (علل الشرائع للصدوق:١/٢٣).

وقال الشاهرودي: (صاحب علم المنايا والبلايا، وأنَّه قرين ميثم التمار ورشيد الهجري). (مستطرفات المعاني: ٦٣).

ولقد ورد في الأخبار الكثير عنهم، ممَّا أخبروا به من علم المنايا والبلايا. (تاريخ الكوفة للبراقي: ٣٣٦).

وقال القمي: (كان من حملة علوم أهل البيت عليهم السلام). (منتهى الآمال:١/٥٠٦).

وجاء ضمن صفات حبيب بن مظاهر: كثرة العلوم بالمغيبات، وأنَّ هذا العلم يودعه الله في خاصة أوليائه. (القمر الزاهر:٨).

وقال المظفر في كتابه ميثم التمار: (علم المنايا والبلايا، أي: علم الآجال، وعلم الحوادث، والوقائع، التي يبتلى بها الناس، وهذا العلم قد يأتمن عليه أبو الحسن (أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام) بعض الأفذاذ من رجاله، فنجد منه شيئاً عند: رشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر، ومحمد بن أبي بكر، وأويس القرني، وعمار بن ياسر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وكميل بن زياد، وأشباههم من أهل القلوب الممتحنة للإيمان). (مثلم التمار: ٢٨).

وقال فاضل الملا في كتابه ميثم التمار: (إذا كان الإمام عليٌّ عليه السلام قد جمع العلم والإيمان، وخاض غمارها بتعمق، قلَّ نظيره، فإنَّ أصحابه، وحواريه، كانوا مصداقاً للآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ﴾.[الروم/٥٦]

فقد زيّن الله تعالى صدورهم بنور العلم، على قلة عددهم الذي لم يتجاوز أصابع اليدين، ممَّن حصل عنده علم البلايا

والمنايا، أضراب ميثم التمار، كحبيب بن مظاهر، ورشيد الهجري، وعمرو بن الحمق الخزاعي). (ميثم التمار:٥٩).

وقال السيد محسن الأمين: في مجالس المؤمنين، عن روضة الشهداء: (حبيب رجل ذو جمال وكمال، وفي يوم وقعة كربلاء كان عمره ٧٥ سنة، وكان يحفظ القرآن كلّه). (أعيان الشيعة: ٥٥٤/٤).

عبادته رضوان الله عليه

لما كان العلم يقود إلى المعرفة، والمعرفة عنوان القرب، أصبح القرآن معين العارفين، والمناجاة مفاتيح الوصال، وفي ذلك قال الإمام زين العابدين عليٌّ بن الحسين عليهما السلام: «إِلَهِي مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلاَوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلاً، وَمَنْ ذَا الَّذِي أَنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغَى عَنْكَ حَوْلاً». (الصحيفة السجادية: ٤١٣).

إنّ حبيب بن مظاهر أحد الرجال الذين أفاض عليهم أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام أسرار الحبّ الإلهي، والعلم، لأنّه كان أهلاً لذلك، وتجسدت كلُّ معرفته في عبادته وحسن تهجده، وطول صلاته، وكثرة تلاوته لكتاب الله، وما حظي به من نور المعرفة جعله من أهل الشوق.

وكان للمحب حبيب ليلة عاشوراء مع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام دوي كدوي النحل، وهم على يقين بقرب موعد اللقاء، ومن عبادته أنّه كان يختم القرآن في ليلة واحدة، قال فيه الإمام الحسين عليه السلام: «للهِ دَرُّكَ يَا حَبِيبُ كُنْتَ فَاضِلاً تَخْتِمُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ». (منتهى الآمال: ٥٠٦/١).

منزلته رضوان الله عليه

قال شمس الدين: (هو أحد الزعماء الكوفيين، كان معظّماً عند الحسين - عليه السلام -، كان شخصية بارزة في مجتمع الكوفة. (أنصار الحسين، محمد مهدي شمس الدين: ٨٢).

وقال الجواهري: من أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن شرطة خميسه، ومن أصحاب أبي محمد، الحسن بن عليٍّ عليهما السلام، قُتِل يوم الطف بكربلاء بين يدي الحسين عليه السلام، ووقع التسليم عليه في زيارتي الناحية والرجبية. (المفيد في معجم رجال الحديث، الجواهري:١٢٧).

وقال أحمد حسين يعقوب: (قال الإمام الحسين عليه السلام لأُخته زينب عليها السلام: «يَا أُخْتَاهُ اعْلَمِي أَنَّ هَـؤُلاَءِ أَصْحَابِي مِنْ عَالَمِ الـذَّرِّ، وَبِهِمْ وَعَدَنِي رَسُولُ اللهِ، هَلْ تُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى ثَبَاتِ أَقْدَامِهِمْ»، قالت: نَعَمْ، قال: «عَلَيْكِ بِظَهْرِ الْخَيْمَةِ»، ثُمَّ نَادَاهُمْ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْصَرِفُوا فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، فَأَبَوْا). (كربلاء الثورة والمأساة: ٣٠٣).

وقال الشيخ علي الشاهرودي: (ممّا زاد في شرفه وعلوّ رتبته دفنُهُ بعد شهادته عند رأس الإمام الحسين عليه السلام متميّزاً عن بقية الشهداء، وكان ذلك بأمر الإمام زين العابدين عليه السلام، فصارَ وكأنّه بوّاب الحسين عليه السلام بعد شهادته يبدأ به الدّاخل وينتهي به الخارج من الحائر الحسيني الشريف.

حكى أحد العُلماء أنّ رجلاً صالحاً رأى حبيب بن مظاهر الأسدي في الرؤيا فقال له: سيدي يا حبيب لقد حزت الخير من جوانبه كلّها فأنت صحابيّ أدركت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسمعت حديثه، ثمّ جئت إلى الكوفة ولازمت أمير المؤمنين عليه السلام ونلت الشهادة بين يديه، فأنتم سادات الشهداء لا يسبقكم سابق ولا يلحقكم لاحق، وهذا قبرك بعد فأنت باب الحسين عليه السلام يدخل الزائر فيسلّم عليك أولاً ولا يخرج حتى يسلّم عليك ثانياً، ومكانك في أعلى عليّين مع الأنبياء والصدّيقين وحسن أولئك رفيقاً، فهل بقي في قلبك شيء؟ أم هل بقيتْ لكَ أمنية تتمنّاها بعد هذا الإكرام؟ قال حبيب: نعم أتمنى أنْ أعود إلى الدنيا وأحضر مع المؤمنين في مجلس الحسين وأبكي مع الباكين وأندب مع النادبين). (مستدرك سفينة البحار: ١٧٠/٢).

وممَّا يدلُّ على عظيم منزلته، اختيار الإمام الحسين عليه السلام له، لتكون بيده راية أصحابه على ميسرة عسكره يوم عاشوراء.



معرفة من يوالي أهل البيت عليهم السلام

*السيد حسن الحسيني

كان للإمام الرضا عليه السلام العديد من الأصحاب حيث إنّ بعضهم يعدُّ من جملة الأكابر والأجلّاء المحدّثين في عصرهم، كما كان لهم النصيب الأكبر في نقل الثقافة الرضوية للأجيال القادمة.

بعض هؤلاء الأصحاب كالفضل بن شاذان ويونس بن عبد الرحمن اللذين يعدّان من كبار المصنّفين في عصر الإمام الرضا عليه السلام، وبعضهم الآخر كأحد بن محمد البيزنطي وعبد السلام أبي الصلت الهروي اللذين كانا من أنصار وأصحاب الإمام عليه السلام حيث نقلوا للأجيال أحاديث عن حياته الشريفة.

سنسعى لنعرّف القارئ بهؤلاء الأصحاب الذين ذكرناهم وبأصحاب آخرين للإمام الرضا عليه السلام.

كان بين أصحاب الإمام الرضا عليه السلام أشخاص أجلّاء وكبار لم يشتهروا في عصرهم، بل إنّ فضلهم وعلمهم لا يخفى على شيعة الإمام الرضا عليه السلام في الوقت الحاضر.

لقد كان لهم دور كبير في نشر التعاليم الإسلامية وتثبيت أُسس الثقافة والحضارة الشيعية وذلك من خلال نقل تقارير عمّا سمعوه أو شاهدوه من أحوال وكلام الإمام الرضا عليه السلام.

فكان لهم النصيب الأكبر في إغناء الثقافة الإسلامية.

إنّ بعضاً منهم الآن له مزار وضريح في البلاد الإسلامية، وبسبب الاحترام الذي يحظون به بين المسلمين فإنّ مزاراتهم هذه تحظى أيضاً باحترام كبير حيث وقف عليها محبو آل البيت عليهم السلام الكثير من الموقوات.

أوّلاً: أحمد بن محمد البيزنطي الكوفي

أحمد بن محمد البيزنطي؛ فقيه، مصنّف، محدّث، ثقة، عالم شيعي كبير، عاش في أواخر

القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري، وهو فارسي الأصل.

كان أجداده يعيشون في الكوفة وعائلته معروفة (بآل مهران). (مسند الإمام الرضا عليه السلام للعطاردي:٧٦).

وقد أثنى عليه علماء الرجال وأجمعوا على صحّة رواياته، وثقته، وقد ذكر الشيخ الطوسي اسمه بين أصحاب الإمام موسى بن جعفر والإمام الرضا والإمام الجواد عليهم السلام. (رجال الطوسي:٣٤٤).

لقد كان في الكوفة وله لقاءات عديدة مع الإمام الرضا عليه السلام وابنه الجواد عليه السلام، وقد كان له منزلة عالية عند هذين الإمامين عليهما السلام، على الرغم من أنّه شك في البداية في إمامة الإمام الرضا عليه السلام. (عيون أخبار الرضا عليه السلام للقمي:٥١٢/٢).

إلّا أنّه تيقّن بعد أنْ رأى معاجز الإمام الرضا عليه السلام وأصبح من زمرة خواص أصحابه.

لقد بلغت منزلته عند الإمام الرضا عليه السلام حداً جعل الإمام يرسل إليه في أحد الأيام مركباً ليأتي إليه، فجاء لعند الإمام وبقي عنده حتى منتصف الليل، وبعد ذلك ولأنَّ الوقت كان متأخّراً طلب منه الإمام أنْ ينام في بيته، وطلب الإمام أنْ يمدوا له فراشه لينام تلك الليلة عليه. (عيون أخبار الرضا عليه السلام:٥١٤/٢).

نقل أحمد الكوفي العديد من الأحاديث الفقهية والكلامية والأخلاقية عن الإمام الرضا عليه السلام.

نقل عنه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ثلاثة عشر حديثاً بلا واسطة عن الإمام الرضا عليه السلام.

أحد هذه الأحاديث قول الإمام الرضا عليه السلام: «فَمَنْ زَارَنِي مِنْ شِيعَتِي عَارِفاً بَحَقِّي، كُنْتُ شَفِعَهُ يَوْمَ القَيَامَةِ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:٦٣٦/٢).

بلغت وثاقة أحمد درجة جعلت العديد من المحدثين الكبار أمثال إبراهيم بن هاشم القمي، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وسهل بن زياد، وعلي بن يونس الخراز، ومعاوية بن حكيم، ويعقوب بن يزيد، وآخرين يروون عن طريقه العديد من الأحاديث عن الإمام الرضا عليه السلام. (الجامع لرواة وأصحاب الإمام الرضا عليه السلام لمحمد مهدي نجف:٩٦/١).

له العديد من الكتب والمؤلفات، ومن بين مؤلفاته (الجامع، النوادر، ما رواه عن الرضا، والمسائل). (فهرس ابن النديم:٤٠٤).

وكانت وفاته عام ٢٢١هـ. (فهرس الطوسي:١٩).

ثانياً: داود بن قاسم الجعفري

هو ابن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهما السلام، ويعدّ من ثقات رواة الشيعة.

لقد كان محتماً ومبجّلاً عند الإمام الرضا عليه السلام ويعدٌّ من خواصه.

لقد تشرّف داود برؤية الإمام الرضا عليه السلام لأوّل مرة عام ٢٠٠هـ في الأهواز، عندما كان الإمام في طريقه إلى مرو، وبأمر من الإمام أعدّ له قصب السكر لأنّه كان مريضاً. (بحار الأنوار للمجلسي:١١٧/٤٩).

لقد ورد اسمه بين أصحاب الإمام الجواد، والإمام الهادي، والإمام الحسن العسكري عليهم السلام. (رجال النجاشي:٣٥٧).

إضافة إلى روايته عن الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام، وقد روى أيضاً عن أبيه القاسم بن إسحاق، روى عن الأشعث بن حاتم، ومحمد بن زكريا، وعبد الله الجوهري البصري، وآخرين.

كما سمع العديد من الأشخاص روايات منه مثل: محمد بن أحمد العلوي، وإسحاق بن محمد النخعي، وحماد بن عبيد الله بن أسيد الهروي، ويحيى بن زكريا الخزاعي، وعبد الله بن عبد الرحمن الصالحي وغيرهم. (المحدثون من آل أبي طالب عليهم السلام للسيد مهدي الرجائي:٥٠٦/١).

من الروايات التي نقلها عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «قَالَ الإِمَامُ عَلِيٌّ ذَاتَ يَوْمٍ لِكُمَيْلٍ: أَخُوكَ دِينُكَ فَاحْتَطِ لِدِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَ». (بحار الأنوار للمجلسي:٢٥٩/٢).



كان داود يعيش في بغداد، وعلى الرغم من الاحترام الذي كان يلقاه من الحكومة آنذاك، إلّا أنّه بحسب ما روى الخطيب البغدادي قد اعتُقل وحُبس في سامراء عام ٢٥٢هـ بسبب انتقاده للحكومة العباسية، ثمّ مات في جمادى الأوّلى عام ٢٦١هـ. (تاريخ بغداد:٣٦٩/٨).

ثالثاً: زكريا بن آدم القمّي

زكريا بن آدم القمّي: فقيه، محدث، مصنف، ثقة، جليل القدر وعالي المنزلة.



لقد ذكروا اسمه بين الأصحاب الأجلاء الذين كان يثق بهم الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا والإمام الجواد عليهم أفضل الصلاة والسلام. (رجال الطوسي:٢٠٠).

لقد نقل المحدثون أمثال جعفر الجوهري، ومحمد بن حمزة بن اليسع، ومحمد بن سهل، والمفضل بن حسان الدالاني روايات عن طريقه عن الإمام الرضا عليه السلام، وهو مؤلف كتاب المسائل للرضا. (رجال النجاشي:١٢٤).

نقل عزيز العطاردي ستة عشر حديثاً من أحاديثه عن الإمام الرضا عليه السلام أوردها في كتابه مسند الرضا عليه السلام، أحد هذه الأحاديث: أنّ الإمام الرضا عليه السلام قال: «إنَّ لِلصَّلَاةِ أَرْبَعَةَ آلَافِ بابٍ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام لابن بابويه:٥٢٨/١).

يقول عليٌّ بن المسيب وهو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام: قلت للإمام: إنّ بلدي بعيد عنك ولا أستطيع أنْ آتي إليك متى أشاء، فمن أسأل آخذ معالم ديني؟ فأجاب عليه السلام: «مِنْ زَكَرِيَا بْنَ آدَمَ القمّي، فَهُوَ مُؤْتَمَنٌ عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا». (رجال الطوسي:٨٥٨/٢).

رويَ أنّ زكريا قال للإمام الرضا عليه السلام: سأرحل ذات يوم عن قومي إلى مكان آخر، لأنّه يوجد بينهم أشخاص جاهلون، فقال الإمام: «لاَ تَتْرُكْ مَكَانَكَ، فَإِنَّ الله يَدْفَعُ بِكَ البَلَاءَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، كَمَا كَأنَ البَلَاءَ يُدْفَعُ عَنْ أَهْلِ بَغْدَادَ بِوَاسِطَةِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ». (خلاصة الأقوال للحلي:١٥٠).

لم يرد في المصادر التاريخية شيء عن وفاته، لكنّه توفي في مدينة قم المقدسة ودُفن في مقبرتها بالقرب من حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

إنّ مقبرته اليوم مزار للشيعة، كما أنّ العديد من العلماء وفقهاء الشيعة الكبار مدفونون قرب قبره، ومن بينهم صاحب قوانين الأُصول الميرزا القمي. (رواة الإمام الرضا عليه السلام في مسند الرضا عليه السلام لعزيز الله العطاردي: ٢٠١).

رابعاً: صفوان بن يحيى الكوفي البجلي

كان صفوان بن يحيى المكنّى بأبي محمد بائع الأقمشة، ويعدُّ من أوثق رواة الشيعة في عصره.

كان يصلّي ١٥٠ ركعة في الليل والنهار، ويصوم ثلاثة أشهر في السنة ويؤدّي زكاة ماله ثلاث مرات في العام الواحد. (الفهرس للطوسي:٨٣).

من جهة أُخرى فقد كان شريكاً لعبد الله بن جندب وعليّ بن نعمان، وقد تعاهدوا في بيت الله الحرام على أنّه إذا مات أحدهم فإنّ الباقين سيصلون ويصومون ويزكون عنه ما داموا أحياء،

فعندما مات شريكاه وفى صفوان بعهده وأدّى عنهم عباداتهم كافة. (رجال النجاشي:١٣٩).

إضافة إلى ذلك فقد كان من بين الأربعين شخصاً الذين نقلوا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، كما يعدّ من أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام. (رجال الطوسي:٣٣٨).

لقد كان وكيلاً عند الإمام الرضا عليه السلام وكان يحظى لديه بمنزلة رفيعة.

له العديد من المؤلفات منها الشراء والبيع، التجارات غير الأوّل، المحبة والوظائف، الفرائض، الوصايا، الآداب وبشارات المؤمن. (فهرس الطوسي:٨٣).

على الرغم من أنّ الواقفية قد بذلوا جهوداً كثيرة وأنفقوا أموالاً طائلة ليجذبوا صفوان إلى صفهم، إلَّا أنّه لم يلتفت إلى طلبهم هذا.

وقد توفّي صفوان في المدينة المنورة عام ٢١٠هـ، وأرسل إليه الإمام الجواد عليه السلام الكفن والحنوط وأمر إسماعيل بن موسى أنْ يصلي عليه، كما طلب الرحمة له وأثنى على دينه. (اختيار معرفة الرجال للطوسي:٢/٥٠٢).

سأل صفوان الإمام الرضا عليه السلام: ما هو فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام؟ فأجاب الإمام عليه السلام: «إِنَّهَا تُعَادِلُ حَجّ عُمْرَة». (بحار الأنوار:٩٨/٣٠).

خامساً:

عبد السلام بن صالح الهروي

عبد السلام المكنى بأبي الصلت، ولد في المدينة بين أعوام ١٥٥ إلى ١٦٠هـ. (اختيار معرفة الرجال للطوسي:٢/٨٧٢).

سافر إلى البصرة، والكوفة، والحجاز، واليمن وبغداد لكسب العلم وسماع الحديث.

بقي مدة في بغداد وسمع عنه الحديث أشخاص كبار مثل: أحمد بن منصور الرمادي، وعباس بن محمد الدوري، وإسحاق بن حسين الحربي. (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي:١١/٤٧).

لقد اعتبره النجاشي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام. (رجال النجاشي:٢٤٥).

وقد اعتبره علماء رجال الشيعة من الأتباع المخلصين للإمام الرضا عليه السلام ومن خواص شيعته. (رجال النجاشي: الكنى والألقاب:١/١٠٠).

لقد اشتهر بدفاعه عن التشيع وتأييده للأئمة المعصومين عليهم السلام لدرجة أنّ بعض علماء الرجال من السنة قد أخذوا عليه تعصبه للتشيع وذكره أحاديث في فضائل الإمام عليٍّ عليه السلام؛ ولذلك اعتبروا رواياته ضعيفة. (تاريخ بغداد: ١١/ ٤٩).

لقد ذكر الشيخ الصدوق في كتابه عيون أخبار الرضا عليه السلام أحاديث فقهية، وكلامية، وأخلاقية عن طريقه والتي رواها عن الإمام الرضا عليه السلام.

لقد تحدث في بعض رواياته عن سيرة الإمام الرضا عليه السلام وحسب ما كتب فإنّ الإمام قبل استشهاده أخبره عن مكان قبره وطريقة دفنه، وبعد استشهاده أيضاً حضر غسله من قبل الإمام الجواد عليه السلام. (عيون أخبار الرضا عليه السلام لابن بابويه:٢/٥٩٥).

لقد كان أبو الصلت ماهراً في الكلام، وعندما ذهب إلى مرو كان له مناظرات مع أشخاص مثل بشر المريدي وآخرين في ردّ المرجئة، والجهمية، والقدرية والزنادقة، وقد تغلب عليهم في المناظرات كافة. (تاريخ بغداد:١١/٥٠).

على الرغم من كونه عالماً وصاحب مال وثروة، إلَّا أنّه عندما جاء إلى الإمام الرضا عليه السلام في خراسان كان في

خدمته دائماً، واستمرت رفقته له حتى زمن استشهاده؛ لذلك كان يعرف بين عامة الناس بخادم الإمام الرضا عليه السلام.

في المدّة التي رافق فيها الإمام الرضا عليه السلام سمع وروى عنه الكثير من الروايات.

من هذه الروايات الحديث المشهور الذي أشار فيه الإمام لدرجة ثواب زيارة قبره حيث قال: «فَمَنْ زَارَنِي فِي غُرْبَتِي كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ مَائَة أَلْفِ شَهِيدٍ، وَمَائَة أَلْفِ صِدِّيقٍ، وَمَائَة أَلْفِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، وَمَائَة أَلْفِ مُجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ وَحَشَرَهُ اللهُ مَعَنَا رَفِيقاً فِي الْجَنَّةِ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/٦٣١).

توفي في شوال عام ٢٣٦هـ. (تاريخ بغداد: ٥٢/١١).

وعلى الرغم من أنّ المصادر الموجودة لم تذكر شيئاً عن مكان دفنه، إلّا لوجوده في خرسان من المحتمل أن يكون قد مات فيها.

كذلك يوجد في شرق مشهد بقعة منسوبة إليه، هذه البقعة مشهورة جداً يؤمها الشيعة من كل مكان، والجدير بالذكر أنّ له بقعة أيضاً في سمنان وأُخرى في قم المقدسة منسوبتان إليه.

سادساً: الفضل بن شاذان

هو أبو محمد الفضل بن شاذان الأزدي النيشابوري، فقيه ومتكلم شيعي من القرن الثالث الهجري.(فهرس الطوسي:١٢٤).

كما أنّ أهله ومن بينهم أبوه وإخوته كلهم كانوا أهل فقه وحديث.

بدأ الفضل دراسته في نيشابور ثم التحق بالعراق والحجاز، لقد عاصر أربعة أئمة: الإمام الرضا والإمام محمداً الجواد والإمام الهادي والإمام الحسن العسكري عليهم أفضل الصلاة والسلام.

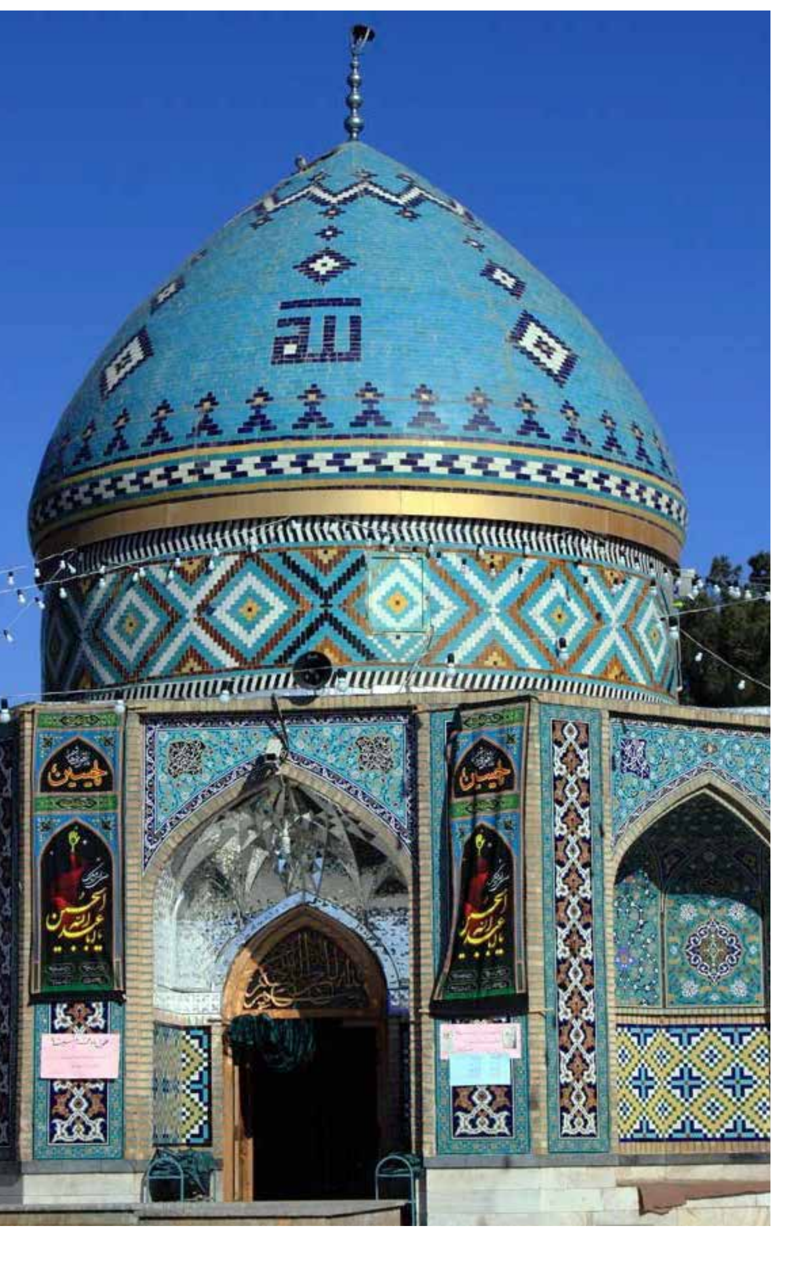
وقد التقاهم عدة مرات وسمع منهم العديد من الأحاديث.

لقد كان أُستاذاً في العلوم كافة كالقرآن والحديث والتفسير والكلام والفقه.

وقد ساعد في نشر وتوسيع مذهب التشيع بما نشره وألفه من كتب.

بعد أنْ شاهد الإمام الحسن العسكري عليه السلام كتاباً له قال: «رَحِمَ اللهُ فَضْلاً، إِنَّنِي أَغْبِطُ أَهْلَ خُرَاسَانَ بِأَنَّ بَيْنَهُمْ شَخْصاً كَالْفَضْلِ بْنِ شَاذَان وَأَنَّهُم يَصِلُونَ إِلَيْهِ». (معالم العلماء لابن شهر آشوب:١٢٥).

قام عبد الله بن طاهر والي خراسان بنفي الفضل من نيسابور، ثم أعاده إليها، ولأنّ الفضل في حوار له مع ابن طاهر قد دافع عن شخصية العباس بن عبد المطلب جد العباسيين، فوقف عن ملاحقته.



(اختيار معرفة الرجال للطوسي:٨١٨/٢).

كان في إحدى قرى بيهق عندما سمع بخبر تمر الخوارج، فأعد العدة للسفر هرباً منهم، لكنَّه مرض وسط الطريق ومات، وقد ذكروا أنّ وفاته كانت عام ٢٦٠هـ. (اختيار معرفة الرجال:٨١٩/٢).

إنّ ضريحه في شرق مدينة نيسابور مزار للشيعة.

وقد بلغ عدد مؤلفاته ١٨٠ كتاباً، واعتبر العلماء أنّ ٤٨ كتاباً منها له. وقد وصل إلينا من كتبه كتاب عنوان الإيضاح في إثبات الشيعة ورد بقية الفرق الإسلامية.

بعض مؤلفاته الأُخرى (الفرائض الكبير، والمسائل الأربع في الإمامة) والنقص على الإسكافي في الجسم، وإثبات الرجعة، الردّ على الباطنية والقرامطة، والحجة في إبطاء القائم عليه السلام، ومسائل البلدان، والردّ على الفلاسفة، والردّ على المرجئة و...). (اختيار معرفة الرجال:١٢٤/٢)

ونقل الفضل بن شاذان أحاديث كثيرة عن الإمام الرضا عليه السلام، منها الحديث الشريف حيث قال الإمام عليه السلام: «سِرْ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِدَوَامِ النِّعْمَةِ، لَيْسَ هُنَاكَ قُوَّةٌ أَوْ حَرَكَةٌ إِلَّا بِإِرَادَةِ اللهِ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:٦٩٥/١).

سابعاً: يعقوب بن إسحاق

مشهور بابن السكيت، وكنيته أبو يوسف، يعد من أدباء ولغويي عصره، وقد ذكروا اسمه بين أصحاب الإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري عليهم السلام. (اختيار معرفة الرجال:٣٩٢).

وقد روى الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام أيضاً.

لقد كان معلم المعتز والمؤيّد ولدا المتوكل العباسي، والذي كان يكنُّ العداوة للإمام عليٍّ عليه السلام وأبنائه.

وفي أحد الأيام دخل المعتز مجلس درس ابن السكيت وسأله: من أعزّ لديك هذان الولدان أم الحسن والحسين؟ فأجاب ابن السكيت: يا متوكل! إنّ قنبر خادم عليٍّ عليه السلام أفضل من ولديك هذين فكيف بأولاده.

وقد أثار الجواب غضب المتوكل فأمر غلمانه بأنْ يخرجوا لسانه من قفاه، ونتيجة هذا التعذيب الذي كان في سبيل عليٍّ وأبنائه عليهم السلام استشهد في شهر رجب عام ٢٤٣هـ.

لقد ألّف ابن السكيت العديد من الكتب، منها: (إصلاح المنطق، والألفاظ، والمذكر والمؤنث، والأرضين والجبال، والأصوات، والنبات، والطير، والوحش، والمقصور والممدود). (رجال النجاشي:٣١٣)

وروي عن ابن السكيت أنّه نقل عن الإمام الرضا عليه السلام حول معيار معرفة حجة الله، فقال الإمام عليه السلام: «هُوَ العَقْلُ، فِيهِ يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّادِقِ عَنِ اللهِ وَتَصْدِيقِهِ، وَمَعْرِفَةُ الكَاذِبِ عَنِ اللهِ وَتَكْذِيبِهِ». (عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٤٩/٢).

ثامناً: يونس بن عبد الرحمن

وهو من ثقات أصحاب الإمام موسى بن جعفر والإمام عليٍّ الرضا عليهما السلام.

وقد كان من وجهاء الشيعة وصاحب منزلة عظيمة، ونقل العديد من الروايات عنهما.

بالإضافة لمعاصرته هذين الإمامين عليهما السلام فقد شاهد الإمام جعفراً الصادق عليه السلام بين الصفا والمروة، لكنَّه لم ينقل عنه الحديث.

لقد كان يونس بما يمتلكه من علم ووثاقة يحتل منزلة عند الإمام الرضا عليه السلام لدرجة أنّه أمر بعض الأصحاب بالرجوع إليه في العلم والفتوى، وكان له العديد من المؤلفات منها: (جامع الآثار، والشرائع، والعلل، واختلاف الحديث، ومسائله عن موسى بن جعفر عليه السلام، ويوم وليلة، و...). (معالم العلماء للطوسي:١٣٢).

روي أنّ أبا هاشم الجعفري عرض على الإمام العسكري عليه السلام كتاب يونس (يوم وليلة)، فسأل الإمام: «مَنْ مُصَنِّفُهُ»؟ فقال: كتبه يونس بن عبد الرحمن، فقال الإمام عليه السلام: «لِيُعْطِهِ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ نُوراً مُقَابِلَ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ».

قال عبد العزيز بن المهتدي القمي، والذي كان يشغل منصب وكيل الإمام الرضا عليه السلام، قلت للإمام: لا أتمكن من زيارتك في كلِّ الأوقات، فممّن



آخذ معالم ديني؟ فقال عليه السلام: «مِنْ يُونِسِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ». (الرجال للحلي:٢٠٧)

ونقل عن الفضل بن شاذان أنّه لم يظهر في الإسلام فقيه مثل سلمان الفارسي ويونس بن عبد الرحمن، كما جاء في حديث الإمام الرضا عليه السلام: «إِنَّ يُونُسَ فِي عَصْرِهِ مَثَلُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ فِي عَصْرِهِ». (التحرير الطاووسي لصاحب المعالم حسن بن زيد الدين:٦٣٠).

ذات يوم كان يونس في محضر الإمام الرضا عليه السلام، فدخل وفد من البصرة على الإمام، فطلب الإمام عليه السلام من يونس أنْ ينتظر في غرفة أخرى حيث يحول بينهم ساتر، وعند لقاء البصريين للإمام تكلموا عن يونس بسوء، فأطرق الإمام عليه السلام ولم يقل شيئاً، وبعد أن ذهبوا جاء يونس إلى الإمام باكياً وقال له: أنا أدافع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ولكن أصحابي يفعلون هكذا؟! فقال الإمام عليه السلام: «يَا يُونُسُ عِنْدَما يَرْضَى عَنْكَ إِمَامُكَ فَلاَ تَهْتَمَّ لِمِثْلِ هَذَا الْكَلاَمِ، يَا يُونُسُ حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ وَتَجَنَّبَ الْحَدِيثَ فِيمَا يَسْتَعْصِي عَلَى أَفْهَامِهِمْ». (بحار الأنوار:٢/٦٦)

لقد كان الواقفية على استعداد لأنْ يدفعوا له أموالاً كثيرة لينصرف عن اعتقاده بإمامة الإمام الرضا عليه السلام، لكنَّه لم يلتفت إليهم وبقي ثابتاً على موقفه حتى آخر عمره. (رجال النجاشي:٣١١)

ولد يونس أيام هشام بن عبد الملك وتوفي عام ٢٠٨هـ. (مستدركات علم رجال الحديث للنمازي:٨/٣١٢)

من الأحاديث التي نقلها يونس عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه سأله ذات يوم: جعلت فداك، عندما يموت الرجل وأولاده متساوون بالنسبة له من حيث القرابة والأبوة، فكيف ترث الإناث نصف ما يرث الذكور في حال أنّ المرأة أضعف وأحوج من الرجل؟ فأجاب الإمام عليه السلام: «هَذَا الْحُكْمُ سَبَبُهُ أَنَّ اللهَ فَضَّلَ الرِّجَالَ عَلَى النِّسَاءِ دَرَجَةً، وَفِي النِّهَايَةِ فَإِنَّ النِّسَاءَ يَتَزَوَّجْنَ وَيَصْبَحْنَ تَحْتَ كَفَالَةِ الرَّجُلِ». (الكافي الشريف للكليني:٧/٨٤).

بقية الأصحاب

إذا تدقّقنا في التاريخ نرى أنّ الإمام الرضا عليه السلام بالإضافة لمن ذُكر من أصحابه آنفاً كان له ثلة من الصحابة الأجلّاء آخرين لا يتسع المجال لذكرهم جميعاً، منهم:

١. أحمد بن محمد الأشعري القمي. (الفهرس للطوسي:٢٥)

٢. إسحاق ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. (رجال الطوسي:٣٦٩)

٣. أيوب بن نوح. (رجال النجاشي:٧٤)

٤. حسن بن عليّ الوشاء. (الفهرس:٥٤)

٥. حسن بن محبوب سراد. (الفهرس:٤٦)

٦. حمّاد بن عثمان الفزاري. (رجال النجاشي:١٠٤)

٧. دعبل الخزاعي. (رجال النجاشي:١٩٨)

٨. ريان بن الصلت الأشعري. (الفهرس:٧١)

٩. عبد الله ابن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام. (رجال الطوسي:٣٥٣)

١٠. عليّ بن جعفر الصادق عليه السلام. (رجال الطوسي:٣٧٩)

١١. محمد بن إسماعيل بن يزيع. (رجال النجاشي:٢٢٣)

١٢. معاوية بن حكيم الدهني. (الفهرس:١٦٦)

النتائج

إنّ ما نستنتجه من دراسة حياة وأحوال أجلاء أصحاب الإمام الرضا عليه السلام هو أنّ العديد منهم كانوا من الثقات المتقين، وكانوا من رواة ومؤلفي الكتب العلمية والدينية في القرن الثاني والثالث الهجري.

لقد استطاعوا عن طريق تدوين أحاديث وسيرة الإمام الرضا عليه السلام وبعض الأئمة عليهم السلام الآخرين أنْ ينقلوا المعارف الرضوية القيمة للأجيال التالية، فكانوا مشاعل نور وهداية أضاءوا طريق الأجيال.



مصانعة الأقوياء ومداراتهم وطلب النفع على حساب الضعيـــف والمضطهـــد

*السيد علي مكي

مـن عـادة الشعوب والأُمــم والأفــراد أنّهم يصانعون الأقـويـاء، ويعملون في مداراتهم، وما يجر النفع إليهم، فتأتي الأحكام والقوانين والرسوم مطابقة لهواهم، ويدفع ثمن ذلك كلّه الضعيف والبائس والمضطهد ومن لا حول ولا قوة ومن لا ناصر له ولا معين.

وهذه العادات ليست مصادفات واتفاقات في عمود الزمان الإنسانية وإنّما جاءت في سياق الطبيعة الإنسانية غير المروّضة، فإنّ الإنسان بطبيعته يخاف الأقوياء ويتجنّب التورط معهم، ويستهين بالفقراء المستضعفين ويرغب في ممارسة السيادة عليهم إرضـاءً لأعظم رغبة إنسانية وهي الجاه والظهور والسيطرة، ومشاهدة الانحناء والطواعية، رغبة في التعظّم والتأله.

ولمّا كانت سياسة الحكم والأباطرة منصرفةً عن العامل الأخلاقي في تطويع الشعوب، وإنّما يرون في القوة السلاح الوحيد لفرض القانون والرغبات، فتنشأ الشعوب في ضرورة الالتزام بالقانون بـدافـع الـخـوف غالباً، وقليلاً بدافع الحصول على المصالح المنظورة.

وهذا النحو من الانسياق اللاأخلاقي ينعكس في مسار الشعوب والأفراد ويؤدّي لا إرادياً إلى ضمور



التربية الأخلاقية النبيلة والمعاكسة.

ولما كانت الشرائع بما يمثله دعاتها من دور الشاهدية على الأُمَّة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾. [الأحزاب/٤٥]

هي المخول الوحيد لتحويل هذا المسار، والوقوف أمامه وإعادة مناهج الشعوب إلى نهج الأنبياء والأولياء في التعاطي مع الخلق كأفراد من بني الإنسان، لهم أحساسيهم وعواطفهم وامتداداتهم الأُسرية والاجتماعية.

ولـمَّا كان الإنسان كياناً جسدياً ومعنوياً ستنعكس لا محالة على صورته وحياته أيّة ممارسة سلبية، ولربما تركت بصماتها على مراحل حياته كلّها، وربّما انسحبت للذراري والأجيال بما يمثّل ذلك من عدوان عام له خطره الكبير والمسموم.

فدور الإنسان في دائرة الالتزام الرسالي النبويّ مختلف تماماً عن الدور الشائع للإنسان السلطوي.

إذ لا بُدَّ له أنْ يعيد للإنسان كرامته وحقّه في التعبير والحياة والحرية النسبية والعيش الكريم والموقع المتناسب مع طاقاته.

وهذا يستدعي رفع الصوت أمام الطغاة والمستأثرين، لإنصاف الناس ولو اقتضى ذلك المواجهة التدريجية، وتوليد معسكر مقابل للمنهج الظالم.

ورفع الصوت والجهاد من أجل المظلومين ومسلوبي الحقوق وهو الموجب لقداسة الأفعال والأشخاص والأُمم.

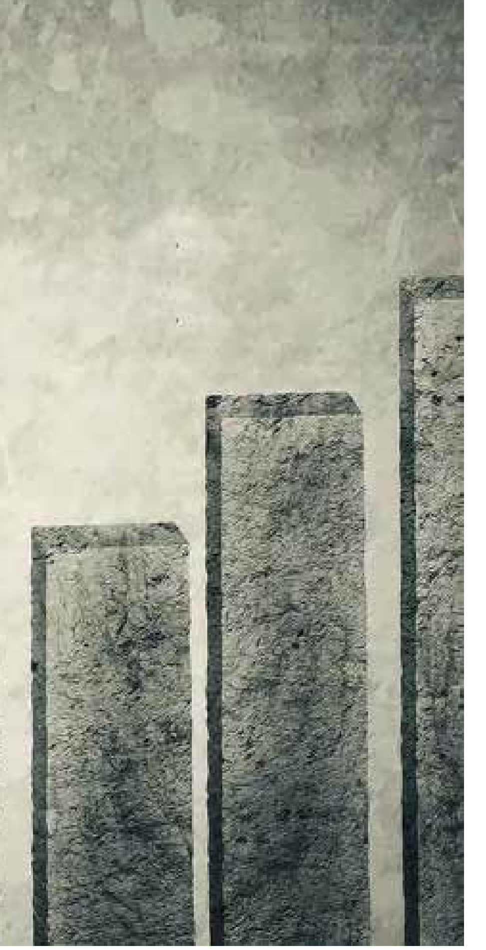
إنّ أسوأ ما ابتلينا به أنّا نستصغر الكرام، وأهل الحجى في مقالاتهم ومطالبهم لأجل ضعفهم وهشاشة شوكتهم.

بينما نُصغي جيداً لأصحاب الألسن الحادة والوجوه الباسرة، ومن يخشى سوطهم وصوتهم، وترانا نعجّل في الهدنة معهم، والعمل لإرضائهم والاستماع إلى ملاحظاتهم، بل ومشاركتهم أفراحهم وأتراحهم.

بينما ينحسر ذلك مع الضعف جسداً وجاهاً ومالاً وقوة، فلا مشاركة معهم ولا وقار ولا تفاعل، فمريضهم غريب، وفقيرهم مهمل، والراحل منهم يتيم، وأُسرته أجانب.

وهذا النمط على ضوء النصوص بل إضاءات العقول الفطرية محكوم بالردة على مهمات الشرائع وأقدس أطروحاتها.

وإلّا فلماذا رفع المولى قيمة الكلمة في مواقع القوة إذ ورد: «أَعْظَمُ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ أَمَامَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ». (ميزان الحكمة:٣/١٩٤٤)



وقد ذكّرني هذا الحديث بالمرحوم العارف الشيخ محمد دبوق المعاصر للسيد الجليل محسن الأمين حيث التقى به وبجماعة من أهل العلم بعض زعماء جبل عامل وكان في رحلة صيد على طريقة صيد الأباطرة، ولما كان يسمع عن حكم الصيد لغير لقمة الحياة ما لا يتلاءم مع سلوكه، سأل الحضور عن الحكم الشرعي للصيد، فتوجس الجميع من الجواب ولأن الشيخ الجليل تصدى بوضوح له فقال: «صَيْدُ مُحَمَّد دَبوق حَلَالٌ وصَيْدُ البيك حَرامٌ لأنّهُ صَيْدُ لَهْوٍ». (رحلة في جذور التاريخ: ١٦).

ولكنَّ الشعور بالعنفوان دفعه لمحاولة التخفيف من حجم الجواب فسأله: من أين تأكل وتعيش؟ فأجابه: الله هو الرازق... إلخ.

إنّ المصانعة مع الجبابرة والأقوياء وأهل الترف لن تكون إلّا جرياً وراء الانسياق العام للطبيعة

ولعادة الشعوب والحكّام.

والغريب الغريب أنْ ينسجم على خطوطنا الدينية، ممّا قد يطول معه الظلام والظلم، ويشكل دافعاً للاضطهاد والاحتقار والمحق، لوجود الفاعل وانعدام المانع.

فعن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «لاَ يُقِيمُ أَمْرَ اللهِ إِلَّا مَنْ لاَ يُصَانِعُ وَلاَ يَضَارِعُ وَلاَ يَتَّبِعِ الْمَطَامِعِ». (نهج البلاغة: ٢٦/٤).

إنّ علينا أنْ نُصغي جيداً لصوت الله تعالى، القاطن في حناجر الضعفاء، والمساكين والفقراء من أهل الورع والتقى، ومن نأوا عن رياش الدنيا وبهارجها وزبرجها، فظنّهم الكثيرون أنّهم نومة لا يؤبه لهم.. مع أنّهم ملاك غضب الله وسخطه، ولأجلهم يكون البوار والهلاك والنقمة.

فعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لَمَّا حَضَرَتْ عَلِيَّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ الْوَفَاةُ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ!.. أُوصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عَلَيْهِ السَّلاَمُ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ»، فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ!.. إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لاَ يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِراً إِلَّا اللهِ». (أمالي الصدوق: ١١٠).

فلا يجوز لنا أنْ نتحوّل بشفاعة القوة والجماعة إلى مادة طلاء لأخطاء الجبابرة والأقوياء ومن يُخشى من دويّهم، وإلى مادة محوٍ لضعيفٍ أراد من كلمةٍ أو موقفٍ أو سلوكٍ تصويب مسار، أو بيان نصيحة، أو إظهار كلمة حق.

ولا يجوز بوجهٍ أنْ يتحول التدين إلى مصانعة امرئ ظاهرٍ غيُّه، ومهتوك ستره على حساب شين الضعيف الكريم، وتسفيه الحليم البائس فإنّ هذا من توهم إصلاح الدين بمحق الدين، ومهمة المواجه هذه ليست باليسيرة، إذ كيف يمكن ذلك لشخص نشأ في ظل طبيعة إنسانية مؤيّدة بكلّ أنواع التأييد سلطةً وسيرةً وانسياقاً.

ولذا كان لا بُدَّ من ترويض الذات على الشجاعة والمواقف وإبقاء جذوة الرفض مشتعلة داخل الإنسان، وبغض النظر عن طبيعة المنحرف وقوته وعنفوانه، وإن اقتضى ذلك تحريكاً في المراتب الرافضة، دون المساس بأصل المواجهة ولزوم ترك المصانعة والمجاراة، مهما علا كعب الظالم، وارتفع سحره.

وهو أمر يقتضي الشروع به مع الأجيال الشابة، لإنشاء ممانعات تجري مع العقل والدم، بحيث تصبح جزءاً من المزاج الفكري والسلوكي لهم.

ولو نجحنا في ذلك فسيكون الصفعة الكبرى والرادع الأقوى في حمل الأقوياء والظلمة على الترجل عن صهوة الترفع والكبر والظلم، وإيجاد مجتمع رادع يحمل من القوة والقدرة على توسعة الردّ بشكل سريع وهادف.

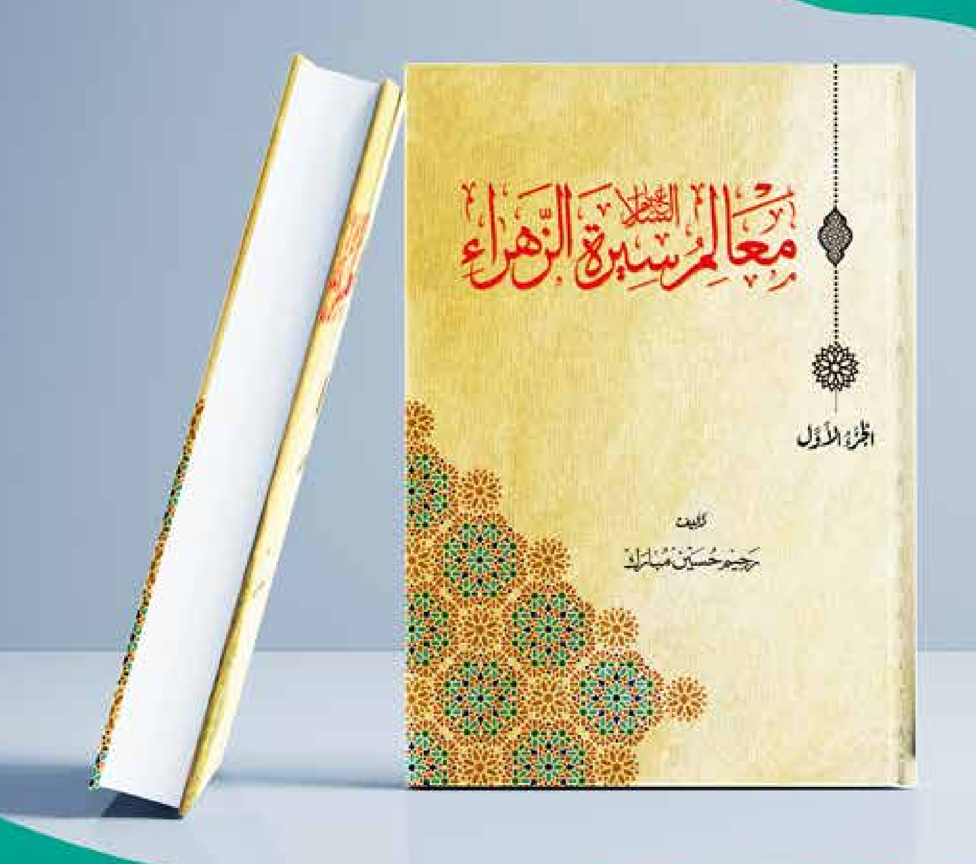
وذلك من الضرورات الاجتماعية والسياسية، إذ لو لم ننجح في إيجاد ذلك فلن يقف القطار على محطة سطوات حماة القانون، بل سيسري إلى القانون نفسه ليتحول إلى سلاح مضاف للقمع، وإضفاء الهيبة بروايات آثمة مخترعة، وحكايات وهمية ألبست برد الحقيقة.

وإلّا كيف نفسّر هذا الكم المتراكم من الروايات في السلطة والسلطان وما أدى إلى فقه تبرير للظلمة على مرِّ التاريخ، ألم تختر بعض الصحاح من أصل ستمائة ألف حديث سبعة آلاف منها.

إنّها عادة المصانعة السهم القاتل لجسد الاجتماع والدولة والفرد.

والختام عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «لاَ تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلاَ تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا». (نهج البلاغة: ١٣٥/٢).





إصدار شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة

تعلن إدارة مجلة الوارث عن استقبال المقالات في المجالات الثقافية والاسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة

يرجى إرسال الأعمال على البريد الالكتروني التالي:

Email: info@imamhussain-lib.com

أو تلكرام الرقم: 07435000242